الترتيبات المالية فى تاريخ غزوة خيبر

بواعثها ونتائجها

د. صلاح التجانى محمد حمودى (*)

الموضوع وأهميته التاريخية :

خصص أصحاب السير والمغازى ، وبخاصة الواقدى(١) ، حيزًا كبيرًا فى كتبهم للحديث عن غزوة خيبر(٢) التى وقعت فى السنة السابعة للهجرة ، مما يؤكد أهمية هذه الغزوة وأهمية النتائج التى ترتبت عليها .

وانطلاقًا من ذلك رأيت أن أقوم بالبحث فى هذا الموضوع ، لأن الترتيبات المالية التى نتجت عن هذه الغزوة تشكل ، فى رأيى ، جزءًا هامًا من التاريخ الحضارى للأمة الإسلامية . أضف إلى ذلك أن هذه الترتيبات المالية انعكس تأثيرها على الحياة الاقتصادية فى عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين .

وسنبدأ حديثنا بالتعرض للأسباب والمبررات التى دفعت الرسول ﷺ والمسلمين لغزو خيبر .

الأسباب والمبررات :

كانت خيبر إحدى مناطق الحجاز التى تسكنها مجموعات من اليهود مثلما كان عليه الحال فى يثرب (المدينة) وفدك وتيماء ووادى القرى(٣) وكان يهود المدينة أول من احتك بهم المسلمون . فعندما هاجر الرسول ﷺ إلى هناك ، وجد أعدادًا من اليهود يقيمون فى المدينة ، كانت من أهمهم ثلاث مجموعات رئيسية هى بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة . وكان لا بد من توضيح وتنظيم

(*) أستاذ مساعد – كلية الآداب – جامعة الملك عبد العزيز .

علاقات هؤلاء اليهود بالأمة الإسلامية الناشئة ، التى أصبحت تضم المهاجرين والأنصار ، فقام الرسول ﷺ بكتابة الصحيفة ، وهى كتاب حدد فيه علاقة الأمة الإسلامية باليهود وشرط لهم واشترط عليهم(٤) فنال اليهود بمقتضى هذا الاتفاق حرية البقاء فى المدينة أو الخروج منها ، وحرية العمل الزراعى والتجارى وغيرهما من الأعمال ، فضلاً عن الحرية الدينية . وفى المقابل كان عليهم المحافظة على أمن واستقرار مجتمع المدينة وعدم تقديم المساعدة لأعداء الأمة الإسلامية ، والوقوف مع المسلمين فى الدفاع عن المدينة فى حالة تعرضها لغزو خارجى ، والمساهمة مع المسلمين فى نفقات الحرب .

كانت هذه هى السمات الرئيسية للاتفاق مع اليهود . غير أنهم لم يحافظوا طويلاً على عهدهم مع المسلمين ، إذ أدت النجاحات الحربية التى حققها المسلمون ضد أعدائهم فى الخارج ، وبخاصة ضد قريش فى غزوة بدر ، أدت إلى إثارة الحقد والحسد فى نفوس اليهود فى المدينة ، فسعوا إلى نقض عهدهم مع الرسول ﷺ . وكان أول من نقض عهده مع المسلمين هم يهود بنى قينقاع ، وذلك عقب غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية للهجرة . ولسنا هنا بحاجة إلى معرفة تفاصيل ما بدر من هؤلاء اليهود وأدى بالتالى إلى طردهم من المدينة ، بقدر ما نحن بحاجة لمعرفة ما ارتبط من أخبار يهود المدينة بغزوة خيبر . ففى السنة الرابعة للهجرة أعلن الرسول ﷺ الحرب ضد مجموعة أخرى من يهود المدينة ، هم بنى النضير ، بسبب نقضهم العهد مع الأمة الإسلامية ، فقد ذكر أن الرسول ﷺ توجه إليهم فى حصونهم ليطلب منهم المساعدة فى دفع دية قتيلين قتلهما أحد المسلمين عن طريق الخطأ . وكان الرسول ﷺ فى قلة من أصحابه ، فأراد يهود بنى النضير الغدر به وإلقاء صخرة عليه من أعلى أحد حصونهم . ولكن الله كشف أمرهم لرسوله ﷺ ، ومن ثم أعلن عليهم الحرب وحاصرهم فى حصونهم . ولم يستمر حصارهم أكثر من ست ليال حتى قذف الله الرعب فى نفوسهم ، " فسألوا

الرسول ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ففعل ... فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام ، فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وحيى بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها"(٥) .

وكان خروج غالبية بنى النضير إلى خيبر ، وبخاصة زعمائهم ، بسبب امتلاكهم لكثير من أراضى خيبر الزراعية(٦) . وقد اتضحت هذه القوة الاقتصادية والسياسية التى كان يتمتع بها بنو النضير ، فى أن يهود خيبر ، رغم كثرتهم ، دانوا لهم بالسيادة والزعامة .

غير أن يهود بنى النضير لم يكن غرضهم الوحيد من الذهاب إلى خيبر هو استغلال أراضيهم الزراعية فيها والتعويض بها عما فقدوه من أراضى فى المدينة ، ومن ثم العيش فى سلام بعد الدرس الذى تلقوه من جراء نقضهم للعهد وطردهم من المدينة ، وإنما كانوا ينوون التآمر ضد المسلمين وتأليب أعدائهم ضدهم مستغلين فى ذلك كثافتهم العددية وكثرة أسلحتهم وأموالهم . وكانت أكبر مؤامراتهم فى السنة الخامسة للهجرة عندما خططوا لغزوة الخندق ، فقد روى ابن هشام(٧) أنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود منهم : سلام بن أبى الحقيق النضرى ، وحيى بن أخطب النضرى ، وكنانة بن أبى الحقيق النضرى ، وهوذة بن قيس الوائلى ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنّا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ... ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشًا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه " .

ويبدو أن اليهود اكتفوا بالمساهمة المالية والمعنوية ، و لم يشترك رجالهم اشتراكًا فعليًا فى القتال فى غزوة الخندق ، حيث لم يذكرهم ابن هشام ضمن من

اشترك من الأحزاب(٨) ، ما عدا حيى بن أخطب الذى كانت لـه مهمـة محـددة ، هى تأليب يهود بنى قريظة ، آخر من تبقى من يهود فى المدينة ، وكانوا لا يزالون على عهدهم مع رسول الله ﷺ ، تأليبهم لكى يطعنـوا المسـلمين مـن الخلـف أثنـاء تعرضهم لهجمات الأحزاب من جهة الخندق . وقد نجح حيى فى مهمته واستطاع أن يقنع كعب بن أسد زعيم بنى قريظة لينقض عهده مع الرسـول ﷺ(٩) ، ووعـد حيى كعبًا أن يدخل معهم فى حصونهم إن سارت الأمـور علـى غـير مـا تشـتهى أنفسهم . وبـالفعل ، عندمـا انسـحبت جنـود الأحـزاب بعـد فشـلهم فـى اقتحـام الخندق ودخول المدينة ، دخل حيى بن أخطب إلى حصون بنى قريظة ليواجه نفس المصير الذى واجهوه(١٠) . فبعد أن حاصر الرسول ﷺ بنى قريظـة فـى حصونهـم لمعاقبتهم على نقضهم العهد، استسلموا بعد حصار دام خمسًا وعشرين ليلة ، فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونساءهم ، وكان حيى من ضمن من ضربت أعناقهم .

ولا شك فى أن اندحار قريش والأحزاب فى غـزوة الخنـدق ، ومقتـل بنـى قريظة ومعهم حيى بن أخطب ، قد أثار الرعب فـى نفـوس يهـود خيـبر وجعلهـم يتوجسون خيفة من المسلمين . غير أن الرسول ﷺ رأى أن يصفى حسابات الأمـة الإسلامية مع قريش أولاً ، قبل أن يلتفت إلى يهود خيبر .

لقد أُحدثت غزوة الخندق تحولاً هامًا فى ميزان القوى بين المسلمين وقريش، فبعد انسحاب قريش والأحزاب من الخندق قـال الرسـول ﷺ : " والله لا يغزوننـا بعدها أبدًا ، وإنما نغزوهم نحن "(١١) . غير أن الرسول ﷺ أراد لحملته الأولى على قريش أن تأخذ طابعًا سلميًا ، وذلك عندما أمر المسلمين فى شهر ذى القعـدة مـن السنة السادسة للهجرة بالاستعداد للخروج لأداء العمرة . وكان الرسول ﷺ يعلم أن قريشًا ستعترض طريقهم وتحاول منعهم من الدخـول إلى مكـة . ولكنـه أراد أن يفرض على قريش أن تعترف بحق المسلمين فى زيارة البيت الحرام ، فتم له ما أراد، وعُقدت اتفاقية الحديبية ، التى بمقتضاها وافقـت قريـش علـى السـماح للمسـلمين

بدخول مكة فى العام الذى يلى ذلك . وكان من ضمن شروط الاتفاق أن تكـون هناك هدنة يتوقف فيها القتال بين الفريقين . وبذلك يكـون الرسـول ﷺ قـد أمـن جانب قريش وضمن حيادها فى أى نزاع قادم بينه وبين اليهود . ومن هناك ترتبط أحداث الحديبية بغزوة خيبر ، فتحييد قريش معناه عدم تقديمهم أى مساعدة ليهود خيبر ، وبالتالى فتح المجال أمام الرسول ﷺ والمسلمين لغزو خيـبر وتـأديب يهودهـا على تآمرهم ضد الأمة الإسلامية .

هناك سبب آخر من أسـباب خـروج الرسـول ﷺ إلى خيـبر ، وهـو سـبب يرتبط أيضًا بأحداث الحديبية ، فعندمـا عـزم الرسـول ﷺ علـى الخـروج إلى مكـة لأداء العمرة فى عام الحديبية ، دعا المسلمين فى المدينة ومـن حولهـا مـن الأعـراب للاستعداد للخروج معه ، فتباطأ الكثيرون من الأعراب حـول المدينـة مـن الخـروج مع رسول الله ﷺ . ولذلك عندما خرج الرسول ﷺ عليه وسلم إلى خيـبر أمـر ألا يخرج معه إلا من اشترك فـى الحديبيـة ، وكـان عددهـم حـوالى ألـف وأربعمائـة . وكان يستهدف من وراء ذلك جعل خيبر غنيمة لأهـل الحديبيـة مكافـأة لهـم دون سواهم من المسلمين ، أما من أراد أن يخرج للجهاد فقط دون أن يكون له نصيـب فى الغنائم فلا بأس من خروجه(١٢) . ولو فُتح باب الاشتراك فى غزوة خيبر لكـل من رغب ، لصحب الرسول ﷺ عدة آلاف من الأعراب ، لمعرفتهم بمـا فـى خيـبر من أموال كثيرة وطعام وفير . وهناك تتأكد لنا حقيقة هامة ، هى أنه علـى الرغـم من القـوة العدديـة التـى كـانت فـى خيـبر مـن اليهـود ، وقـوة حصونهـم وكـثرة أسلحتهم ومائهم وطعامهم إلا أن الرسول ﷺ كان واثقًا من النصر . كذلك كان من خرج معه من المسلمين ، على قلتهم بالمقارنة لأعداد اليهود ، واثقين أيضًا مـن إحـراز نتـائج إيجابيـة . وهـذا يقودنـا الآن للحديـث عـن أوضـاع خيـبر الحربيـة والاقتصادية ، حيث إننا ، كما ذكرنا آنفًـا ، يمكـن أن نعتـبر هـذه الأوضـاع مـن الأسباب المؤدية لغزوة خيبر .

قوة خيبر :

أورد الواقدى(١٣) فى كتاب المغازى ما يعبر أصدق تعبير عن القوة العسكرية ليهود خيبر ، فقال : " وكانت يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم ، كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفًا ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ هيهات ! هيهات ! وكان من كان بالمدينة من اليهود يقولون حين تجهز النبى ﷺ إلى خيبر : ما أمنع والله خيبر منكم ! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم ، حصون شامخات فى ذرى الجبال ، والماء فيها واتن (أى دائم لا ينقطع) ، إن بخيبر لألف دارع ، ما كانت أسد وغطفان يمتنعون من العرب قاطبة إلا بهم ، فأنتم تطيقون خيبر ؟ فجعلوا يوحون بذلك إلى أصحاب النبى ﷺ ، فيقول أصحاب النبى ﷺ : قد وعدهم الله نبيه أن يغنمه إياها " .

من هذا يتضح مدى الخطر الذى أصبح يشكله يهود خيبر على الأمة الإسلامية . وقد رأينا من قبل تآمرهم مع قريش وغيرها من القبائل العربية ، وهجومهم على المدينة فى غزوة الأحزاب ، أو الخندق ، سنة ٥هـ . ولا شك فى أن تدمير القوة العسكرية لليهود فى خيبر فيه إضعاف لقريش ولغيرها من القبائل العربية الموالية لها ولليهود والمعادية للمسلمين ، مثل قبيلتى غطفان وأسد(١٤) . وفى المقابل ؛ فإن تدمير هذه القوة العسكرية فيه تقوية للمسلمين ولقوتهم الحربية، وذلك بما حصلوا عليه من سلاح وأموال غنيمة من خيبر ، كما سنرى .

أما القوة الاقتصادية ليهود خيبر فقد كانت تتمثل فى الأراضى الخصبة التى كانوا يمتلكونها هناك ، وفى الإنتاج الزراعى الوفير لهذه الأراضى . وقد عرفت خيبر بأنها ريف الحجاز طعامًا وودكًا وأموالاً(١٥) . وستتضح لنا كثرة ما فيها من هذه الأشياء مما غنمه المسلمون فيما بعد .

أما الأمر الهام الذى تجدر الإشارة إليه فهو أن استيلاء المسلمين على هذه الأراضى والأموال يعتبر تحولاً هامًا فى الحياة الاقتصادية والمعيشية للأمة الإسلامية فى ذلك الوقت ، كما أنه يعتبر من جهة أخرى ضربة شديدة وجهت لقريش ولمصالحها التجارية .

والآن بعد أن استعرضنا الأسباب والمبررات التى أدت إلى غزوة خيبر ، ننتقل للحديث عن مسير الرسول ﷺ بجيشه إلى خيبر وموقف القوى المختلفة من هذه الغزوة .

* * *

المسير إلى خيبر ومواقف القوى المختلفة :

أدى قرار الرسول ﷺ الخروج إلى خيبر وغزوها إلى ردود فعل متباينة لدى جهات مختلفة . وأول رد فعل كان من بعض الأعراب المقيمين حول المدينة ، والذين انضموا للأمة الإسلامية دون أن يرسخ الإيمان فى قلوبهم بعد . وقد تبين هذا من موقفهم عندما أمر الرسول ﷺ أصحابه " بالتهيؤ للغزو فهم مجدون " ، كما يحدثنا الواقدى ، وتجلب من حوله من الأعراب يغزون معه ، وجاءه المخلفون يريدون أن يخرجوا معه رجاء الغنيمة ، فقالوا نخرج معك . وقد كانوا تخلفوا عنه فى غزوة الحديبية وأرجفوا بالنبى ﷺ وبالمسلمين ، فقالوا : نخرج معك إلى خيبر ، إنها ريف الحجاز طعامًا وودكًا وأموالاً ، فقال رسول الله ﷺ : لا تخرجوا معى إلا راغبين فى الجهاد ، فأما الغنيمة فلا . وبعث مناديًا فنادى : " لا يخرجن معنا إلا راغب فى الجهاد ، فأما الغنيمة فلا "(١٦) .

فالرسول ﷺ ، إذا ، لم يمنع أحدًا من المسلمين من الاشتراك معه فى هذه الغزوة إن كان راغبًا فى الجهاد . أما ما يمكن أن يحصلوا عليه من غنائم فى هذه الغزوة فلا نصيب فيه لأحد لم يسبق له الاشتراك فى الحديبية . ولا أحسب أن

الاشتراك بهذه الصورة كان مغريًا لكثير من الأعراب الذين كانوا يطمعون فى غنائم خيبر .

أما رد الفعل الثانى فد كان يتمثل فى موقف اليهود الذين لازالوا يقيمون فى المدينة فى ذلك الوقت . تقول رواية الواقدى : " فلما تجهز الناس إلى خيبر شق ذلك على يهود المدينة الذين هم موادعون لرسول الله ﷺ ، وعرفوا أنهم إذا دخلوا خيبر أهلك الله خيبر كما أهلك بنى قينقاع والنضير وقريظة . قال : (أى الراوى) فلما تجهزنا لم يبق أحد من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حق إلا لزمه "(١٧) .

وكان يهود المدينة يهدفون من وراء ذلك تعطيل أكبر عدد من المسلمين عن الاشتراك فى هذه الغزوة ، وذلك بإلزامهم بسداد ما عليهم من ديون قبل خروجهم إلى خيبر ، وكانوا يعلمون تمام العلم أن هؤلاء الذين استدانوا منهم لا يملكون شيئًا وغير قادرين آنئذ على سداد هذه الديون .

ولم يكتف يهود المدينة بذلك ، بل أنهم حاولوا أيضًا أن يضعفوا من معنويات المسلمين ، وذلك بإظهار يهود خيبر بمظهر القوة التى لا يمكن للمسلمين مجابهتها . فقال أحدهم ، ويدعى أبو الشَّحْم ، لأحد المسلمين : " تحسب أن قتال خيبر مثل قتال من تلقونه من الأعراب ؟ فيها والتوراة عشرة آلاف مقاتل " . كذلك كان من بالمدينة من اليهود يقولون حين تجهيز النبى ﷺ إلى خيبر : " ما أمنع والله خيبر منكم ! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم ، حصون شامخات فى ذرى الجبال والماء فيها واتن ، إن بخيبر لألف دارع ، ما كانت أسد وعطفان يمتنعون من العرب قاطبة إلا بهم " فأنتم تطيقون خيبر ، فجعلوا يوحون بذلك إلى أصحاب النبى ﷺ "(١٨) .

كذلك حاول يهود المدينة من جهة أخرى مساعدة إخوانهم يهود خيبر ، وذلك بتشجيعهم ورفع روحهم المعنوية ، والتقليل من شأن المسلمين ، وإظهارهم

بمظهر الضعف . فبعثوا أحد الأعراب من بنى أشجع وجدوه بالمدينة قدم بسلعة يبيعها ، فبعثوه إلى كنانة بن أبى الحقيق ، زعيم يهود خيبر ، يخبرونه بقلة المسلمين وقلة خيلهم وسلاحهم ويقولون لهم : فاصدقوهم الضرب ينصرفوا عنكم ، فإنه (أى الرسول ﷺ) لم يلق قومًا يحسنون القتال ، وقريش والعرب قد سروا بمسيره إليكم لما يعلمون من موادكم وكثرة عددكم وسلاحكم وجودة حصونكم"(١٩).

هذا هو إذا موقف يهود المدينة من غزوة خيبر ، محاولة لعرقلة خروج المسلمين وتثبيط هممهم . وفى المقابل تشجيع يهود خيبر ورفع روحهم المعنوية ، فماذا كان موقف يهود خيبر ؟

أما يهود خيبر من جانبهم ، فإنهم كانوا " لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم . فكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفًا ثم يقولون : محمد يغزونا ؟ هيهات ! هيهات ! "(٢٠) .

لا شك فى أنهم كانوا يهدفون من وراء ذلك إظهار قوتهم الزائفة ومحاولة تخويف المسلمين . ويقال إنهم بعثوا بأعرابى من بنى أشجع (ولعله نفس الأعرابى الذى أرسله إليهم يهود المدينة) ليعترض طريق جيش المسلمين وقالوا له : "أحرزهم لنا وادن منهم كالسائل لهم ما تقوى به ، ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا ، فإنهم لن يدعوا سؤالك ، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم "(٢١) وبالفعل أخذت طليعة المسلمين هذا الأشجعى ، وعندما سألوه عن يهود خيبر ، أخبرهم أن " كنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس سارًا فى حلفائهم من غطفان فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ، فجاءوا معدين مؤيدين بالكراع والسلاح يقودهم عتبة بن بدر ودخلوا معهم فى حصونهم ، وفيها عشرة آلاف مقاتل ، وهم أهل الحصون التى لا ترام وسلاح وطعام كثير لو حصروا لسنين لكفاهم ، وماء واتن يشربون فى حصونهم ، ما أرى لأحد بهم طاقة "(٢٢) .

وهكذا حاول هذا الأعرابى الذى بعثه يهود خيبر ، أن ينفذ ما طلب منه ، فهول قوة اليهود وأكد سلامة موقفهم ؛ بينما يهود خيبر فى واقع الأمر يرتعدون خوفًا من المسلمين ، وما لجوؤهم إلى غطفان لنصرتهم إلا لخوفهم ولا حساسهم بالضعف رغم كثرة عددهم وتوفر طعامهم ومائهم . أضف إلى ذلك أن الخوف أفقدهم التفكير السليم فأصبحوا وهم مختلفون فيما بينهم ، فبعضهم يرى ضرورة الخروج لمواجهة الرسول ﷺ والمسلمين خارج حصونهم ، والبعض الآخر يرى أن البقاء فى الحصون والمدافعة عنها أجدى لهم(٢٣) . وقد ظهرت حقيقة يهود خيبر وزيف قوتهم بمجرد أن نزل الرسول ﷺ بساحتهم ، " فأصبحوا وأفئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم معهم المساحى والكرازين والمكاتل (وهى الآلات التى يستخدمونها فى زراعتهم) فلما نظروا إلى رسول الله ﷺ قد نزل بساحتهم قالوا: " محمد والجيش ، فولوا هاربين حتى رجعوا إلى حصونهم "(٢٤) .

* * *

أما الغطفانيون فلم يتعظوا بالفشل الذى لاقته الأحزاب (وكانوا هم أحد هذه الأحزاب) ، فى غزوة الخندق . ففى تلك الغزوة نجد الرسول ﷺ حاول إبعادهم عن هذا التحالف بإعطائهم جزءًا من تمر المدينة . غير أن الأنصار ، عندما استشارهم الرسول ﷺ ، رفضوا أن يطمعوا بنى غطفان فيهم وفى ثمارهم ، ورأوا تحمل مشاق الحصار والتضحية فى سبيل دينهم(٢٥) . فضاعت على بنى غطفان فرصة الحصول على ما كانوا يتطلعون إليه من كسب مادى ، فلا هم حصلوا عليه من حلفائهم اليهود ، ولا هم نالوا غرضهم من المسلمين .

ومرة أخرى ، وبعد حوالى عامين من إنتهاء غزوة الخندق ، نجد بنى غطفان أيضًا يراهنون على الفرس الخاسر ، وذلك بتحالفهم مع يهود خيبر . فعندما تنامى إلى سمع يهود خيبر أن الرسول ﷺ يستعد لغزو خيبر ، خرج زعماؤهم ، وعلى رأسهم

كنانة بن أبى الحقيق وهودة بن قيس فى أربعة عشر رجلاً من يهود يستنصرون ببنى غطفان ، ووعدهم بإعطائهم تمر خيبر سنة ، جعلوا لهم نصف تمر خيبر .(٢٦)

ويبدو أن الرسول ﷺ علم بتحركات يهود خيبر واستنفارهم لبنى غطفان، ولذلك نجده عندما خرج من المدينة إلى خيبر يتخذ طريقًا يجعله يحول بين بنى غطفان وبين دخولهم خيبر، ولكنهم كانوا بالفعل قد خرجوا فى أربعة آلاف رجل(٢٧) ودخلوا حصن ناعم بالنطاة قبل قدوم الرسول ﷺ إلى هناك بثلاثة أيام(٢٨) .

وكان الرسول ﷺ يعلم أن بنى غطفان يسعون وراء الكسب المادى ، ولا يهمهم نصر اليهود بقدر ما يهمهم الحصول على غنائم . ولذلك نجده من جانبه يحاول أيضًا أن يغريهم ويجعلهم ينصرفون عن خيبر ، فأرسل سعد بن عبادة إلى عيينة بن حصن زعيم غطفان ليعرض عليه نصف تمر خيبر سنة ، وفى وراية أخرى ، تمر خيبر سنة(٢٩) وقد أخبرهم الرسول ﷺ أنه وُعِد خيبر . ولكن عيينة وقومه غرتهم أنفسهم وأعماهم الطمع ، فتمسكوا بالعرض الذى قدمه لهم يهود خيبر ، ورأوا ضمانًا أكثر ، ظانين أن كثرة أعداد اليهود وكثرة سلاحهم وحصونهم المنيعة ستحقق لهم النصر على المسلمين .

ومن جهته أراد الرسول ﷺ أن يثبت لبنى غطفان سوء اختيارهم ، وفى نفس الوقت أراد إضعاف معنوياتهم . لذلك نجده يأمر بأن يكون أول حصن يهجم عليه المسلمون هو حصن ناعم ، وهو الحصن الذى دخله الغطفانيون واحتموا به مع حلفائهم اليهود .

ثم كانت الضربة الثانية التى تلقاها الغطفانيون عندما سمعوا صائحًا يقول إن ديارهم وأهليهم قد هوجموا ، فخافوا خوفًا شديدًا وظنوا أن المسلمين خالفوهم على بلادهم ، فلم يترددوا فى الخروج مسرعين نحو ديارهم ، فسقط فى أيدى

اليهود الذين خذلهم حلفاؤهم من الغطفـانيين ، وبذلـك حقـق الرسـول ﷺ هدفًـا آخر بإضعاف معنويات يهود خيبر(٣٠) .

وكان أن وصل الغطفـانيون إلى بلادهـم بحيفـاء(٣١) فوجـدوا أهلهـم آمنـين مطمئنين لم يرعهم شئ ، فقال عبينه ، إنها مكيدة كادهم بها رسـول ﷺ . وبعـد أن مكث فى أهله أيامًا راودته نفسه مرة أخرى بالخروج إلى خيبر ، مدعيًا أنه يريد نصرة حلفائه من يهود . ولكنه مـا إن وصـل إلى هنـاك حتـى وجـد المسـلمين قـد فتحوا بعض حصون خيبر ويحاصرون بعضها الآخر . وعندما شاهد عبينة المسلمين وهم يحملون الغنائم من الحصون التى فتحوها ، امتلأ قلبـه حسـرة وندمًـا ، طلـب منهم أن يعطوه ما يعلف به دوابه ، ولكنهم شتموه(٣٢) ، فذهب عبينة إلى الرسول ﷺ يسأله أن يعطيه شيئًا من الغنـائم مدعيًـا أنـه انصـرف عنـه وعـن قتالـه وخـذل حلفاءه من يهود عن قصد ، ولكن الرسول ﷺ كشف له عن كذبه وأخبره أنه إنما رجع إلى أهله بسبب ما سمعه من صياح بوقوع هجوم على بلادهـم (وكـان هـذا هاتفًا من السماء) . وعندما ألح عبينة على الرسول ﷺ أن يعطيه شيئًا ، قال لـه : لك ذو الرقيبة ، وهو ما رآه عبينة فى منامه أن الرسول ﷺ يعطيه له(٣٣) .

وهكذا يتضح لنا أن الظروف المعيشية القاسية التى كان يمر بها بنـو غطفـان هى التى دفعتهم لهذا التذبذب الذى أفقدهم الفرصة للحصول على جزء من غنـائم خيبر إن هم قبلوا نصح الرسول ﷺ .

* * *

موقف قريش :

ذكرنا من قبل أن الرسول ﷺ عقد اتفاقية الحديبية مع قريش فى نهاية العـام السادس للهجرة ، ثم خرج فى مطلع العام السابع غازيًـا خيـبر . ويهمنـا أيضًـا أن نعرف موقف قريش من هذه الغزوة بسبب علاقاتهم باليهود ومصالحهم المشتركة.

الحقيقة إن أصدق ما يعبر عن موقف قريش من خروج الرسول ﷺ لغزو خيبر هذه القصة الطريقة التى كان بطلها أحد المسْلمين ، ويدعى الحجاج بن علاط السلمى . تبدأ القصة عندما قدم شخص يدعى عباس بن مرداس السلمى إلى مكة فأخبر القرشيين " أن محمدًا سار إلى خيابر ، وأن خيابر قد جمعت الجموع ، فمحمد لا يفلت ، إلى أن قال عباس هذا : من شاء بايعته لا يفلت محمد فبدأت المراهنات، وانقسم القرشيون إلى فريقين ، فريق يرى أن الرسول ﷺ سيظهر على اليهود ، وفريق آخر يرجح كفة اليهود وحلفائهم(٣٤) .

فى هذه الأثناء كان الحجاج بن علاط السلمى قد خرج ، كما تقول الرواية السابقة ، فى بعض غاراته ، فذكر له أن رسول الله ﷺ بخيبر ، فأسلم وحضر مع رسول الله ﷺ خيبر .. وكان الحجاج متزوجًا من امرأة تدعى أم شيبة بنت عمير بن هاشم ، وهى أخت الصحابى مصعب بن عمير . وكان الحجاج مكثرًا ، له مال كثير من معادن الذهب التى بأرض بنى سليم . فقال : يا رسول الله ائذن لى حتى أذهب فآخذ مالى عند امرأتى ، فإن علمت بإسلامى لم آخذ منه شيئًا . فإذن له رسول الله ﷺ ، وقال : لابد لى يا رسول الله من أن أقول . فإذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء . قال الحجاج :

فخرجت فلما انتهيت إلى الحرم هبطت فوجدتهم بالثنية البيضاء(٣٥) ، وإذا بهم رجال من قريش يستمعون الأخبار ، قد بلغهم أن رسول الله ﷺ قد سار إلى خيبر ، وعرفوا أنها قرية الحجاز ريفًا ومنعة ورجالاً وسلاحًا ، فهم يتحسبون الأخبار مع ما كان بينهم من الرهان . فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط عنده والله الخبر ! يا حجاج ، إنه قد بلغنا أن القاطع(٣٦) قد سار إلى خيبر بلد اليهود وريف الحجاز . فقلت : بلغنى أنه قد سار إليها وعندى من الخبر ما يسركم . فالتبطوا(٣٧) بجانبى راحلتى يقولون : يا حجاج أخبرنا . فقلت : لم يلق محمد وأصحابه قومًا يحسنون القتال غير أهل خيبر . كانوا قد ساورا فى العرب

يجمعون له الجموع وجمعوا له عشرة آلاف ، فهزم هزيمة لم يسمع قط بمثلها ، وأسر محمد أسرًا ، فقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فنقتله بين أظهرهم بمن قتل منا ومنهم ! ولهذا فإنهم يرجعون إليكم يطلبون الأمان فى عشائرهم ويرجعون إلى ما كانوا عليه ، فلا تقبلوا منهم وقد صنعوا بكم ما صنعوا. قال : فصاحوا بمكة وقالوا : قد جاءكم الخبر ، هذا محمد إنما ينتظر أن يقدم به عليكم . فقلت : أعينونى على جمع مالى على غرمائى فأنا أريد ان أقدم فأصيب من محمد وأصحابه قبل أن تسبقنى التجار إلى ما هناك . فقاموا فجمعوا إلى مالى كأحث جمع سمعت به ، وجئت صاحبتى ، وكان لى عندها مالى فقلت لها : مالى ، لعلى ألحق بخبير فأصيب من البيع قبل أن يسبقنى التجار إلى من انكسر هناك من المسلمين . وسمع ذلك العباس (بن عبد المطلب) فقام ، فانخذل ظهره فلم يستطع القيام ، فأشفق أن يدخل داره فيؤذى ، وعلم أن سيؤذى عند ذلك ، فأمر بباب داره يفتح وهو مستلق ، فدعا بابنه قثم ، وكان يشبه بالنبى ﷺ ، فجعل يرتجز ويرفع صوته ألا يشمت به الأعداء ، وحضر باب العباس بين مغيظ محزون ، وبين شامت ، وبين مسلم ومسلمة ، مقهورين بظهور الكفر والبغى . فلما رأى المسلمون العباس طيبة نفسه طابت أنفسهم واشتدت منتهم(٣٨) ، ودعا غلامًا له يقال له أبو زبينة فقال له : اذهب إلى الحجاج فقل ، يقول العباس : " الله أعلى وأجل من أن يكون الذى تخبر حقًا " . فجاءه فقال الحجاج : قل لأبى الفضل : أحلّنى فى بعض بيوتك حتى آتيك ظهرًا بعض ما تحب ، فاكتم عنى . فأقبل أبو زبينة يبشر العباس " أبشر بالذى يبشرك " فكأنه لم يمسه ، ودخل عليه أبو زبينة فاعتنقه العباس وأعتقه وأخبره بالذى قال ، قال العباس : لله على عتق عشر رقاب ! فلما كان ظهرًا جاءه الحجاج فناشده الله : لتكتمن على ثلاثة أيام . فواثقه العباس على ذلك ، قال : فإنى قد أسلمت ولى مال عند امرأتى ودين على الناس ، ولو علموا بإسلامى لم يدفعوا إلى ، تركت رسول الله ﷺ قد فتح ، وجرت سهام الله ورسوله فيها وانتثل(٣٩) ما فيها ، وتركته عروسًا بابنة حيى بن أخطب ، وقتل

ابن أبى الحقيق . قال : فلما أمسى الحجاج من يومه خرج ، وطال على العباس تلك الليالى ويقال : إنما استنظر العباس يومًا وليلة، وجعل العباس يقول : ياحجاج انظر ما تقول فإنى عارف بخيبر ، هى ريف الحجاز أجمع وأهل المنعة والعدة فى الرجال ، أحقًا ما تقول ؟ قال : إى والله فاكتم عنى يومًا وليلة ، حتى إذا مضى الأجل ، والناس يموجون فى شأن ما تبايعوا عليه ، عمد العباس إلى حلة فلبسها ، وتخلق الخلوق وأخذ فى يده قضيبًا ، ثم أقبل يخطر حتى وقف على باب الحجاج بن علاط ، فقرعه فقالت زوجته : لا تدخل ، أبا الفضل ! قال : فأين الحجاج ؟ قالت : انطلق إلى غنائم محمد ليشترى منها التى أصابت اليهود منهم قبل أن بسبقه التجار إليها . فقال لها العباس : فإن الرجل ليس لك بزوج إلا أن تتبعى دينه ، إنه قد أسلم وحضر الفتح مع رسول الله ﷺ ، وإنما ذهب بماله هاربًا منك ومن أهلك أن يأخذوه . قال : أحقًا يا أبا الفضل ؟ قال : أى والله ـ قالت : والثواقب إنك لصادق . ثم قامت تخبر اهلها ، وانصرف العباس إلى المسجد وقريش يتحدثون بما كان من حديث الحجاج ، فلما نظروا إليه وإلى حاله تغامزوا وعجبوا من تجلده ، ثم دخل فى الطواف بالبيت ، فقالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلد لحر المصيبة أين كنت منذ ثلاث لا تطلع ؟ قال العباس : كلا والذى حلفتم به ، لقد فتح خيبر وترك عروسًا على ابنة ملكهم حيى بن أخطب ، وضرب أعناق بنى أبى الحقيق البيض الجعاد الذين رأيتموهم سادة النضير من يثرب ، وهرب الحجاج بماله الذى عند امرأته . فقالوا : من خبرك بهذا ؟ قال العباس : الصادق فى نفسى ، الثقة فى صدرى ، فابعثوا إلى أهله ، فبعثوا فوجدوا الحجاج قد انطلق بماله واستكتم أهله حتى يصبح ، فسألوا عن ذلك كله فوجدوه حقًا ، فكبت المشركون وفرح بذلك المسلمون ، و لم تلبث قريش خمسة أيام حتى جاءهم الخبر بذلك .

* * *

ونخلص من استعراضنا للمواقف المختلفة للقوى التى كان لها ارتباط بغزوة خيبر أن الوضع الاقتصادى الهام لمنطقة خيبر بأراضيها الخصبة ، لعب دورًا مهمًا فى تحديد موقف كل فئة من هذه الفئات التى أثرت فيها غزوة خيبر ، فالرسول ﷺ باستيلائه على خيبر يكون قد حقق هدفين مهمين ، أولهما القضاء على القوة الحربية والاقتصادية ليهود خيبر ، والتى كانت تستخدم فى حرب المسلمين والأمة الإسلامية . وثانيهما وضع يد الأمة على مورد غذائى هام كانت فى أشد الحاجة إليه(٤٠) .

أما اليهود فقد بذلوا كل ما فى وسعهم للأحتفاظ بوضعهم العسكرى والاقتصادى المتفوق فأخذوا يتحالفون مع بعض القبائل العربية فى مقابل إعطائهم كل ما تنتجه خيبر من تمر سنة كاملة .

أما حلفاء يهود ، وبخاصة بنو غطفان وقائدهم عيينة بن حصن ، فقد أعماهم الطمع وغرتهم قوتهم وقوة اليهود الزائفة ، فرفضوا ما عرضه عليهم الرسول ﷺ الذى كان واثقًا من النصر ، فأضاعوا على أنفسهم فرصة ثمينة .

أما قريش فيتضح لنا من قصة الحجاج بن علاط السلمى التى ذكرناها ، أنها أصبحت فى موقف ضعيف ومقيدة باتفاق الحديبية ، بحيث لا تستطيع أن تمد يد المساعدة لحلفاء الأمس ، يهود خيبر . وكان بإمكان قريش أن تنقض عهدها مع الرسول ﷺ وتهاجم المسلمين من الخلف أو تستغل فرصة خروج الرسول ﷺ من المدينة فتهجم عليها ، ولكن قريش كان قد أصابها ضرر شديد لحق بتجارتها من جراء الغزوات والسرايا العديدة التى وجهها الرسول ﷺ ضد قوافل تجارتها ، فأصبح لزامًا عليها التزام جانب الحياد ، وكانت تأمل أن يتمكن اليهود وحلفاؤهم من القضاء على المسلمين . غير أن انتصار الرسول ﷺ والمسلمين على يهود خيبر جاء ضربة أخرى مؤلمة وجهت لقريش . فاستيلاء الرسول ﷺ والمسلمين على خيبر وضع تحت أيديهم ، ولأول مرة منذ نشأة الأمة الإسلامية ، أراضى زراعية

خصبة ، وإنتاجًا زراعيًا كافيًا أمن لهم سبل عيشهم فى هذه المرحلة ، وجعلهم يتفرغون للمهمة الأساسية بنشر الدعوة الإسلامية . وفى نفس الوقت لم تعد قريش قادرة على الإنتفاع بما تنتجه خيبر التى أصبحت ملكًا للمسلمين .

والآن ، بعد أن استعرضنا الأسباب التى أدت إلى غزوة خيبر ، والظروف التى أحاطت بها ، وموقف كل فئة من الفئات التى كان لها ارتباط بهذه الغزوة ، ننتقل للحديث عما حققه الرسول ﷺ والمسلمون من إنجازات حربية فى خيبر ، وما تمخض عن ذلك من ترتيبات مالية .

* * *

سقوط حصون خيبر فى أيدى المسلمين :

كانت حصون اليهود بخيبر تقع فى ثلاث مناطق ، هى الشق والنطاة والكتيبة ، وهى تقع بدورها فى واديين من أودية خيبر هما وادى السرير ووادى خاص(٤١) . كانت الشق والنطاة تقعان فى وادى السرير ، بينما تقع الكتيبة فى وادى خاص . وقد ذكرنا من قبل أن الرسول ﷺ أمر أن يكون أول حصن يهاجمه المسلمون هو حصن ناعم الذى نزل به الغطفانيون حلفاء اليهود ، مما أدخل الرعب والخوف فى نفوسهم . ثم كان أمر ما سمعوه من هجوم وقع على ديارهم وأهليهم، فخرجوا مسرعين إلى هناك . ويقال إن كنانة بن أبى الحقيق ، الذى كان آنذاك فى الكتيبة ، عندما سمع بانصرافهم سقط فى يده وذل وأيقن بالهلكة(٤٢) .

أما الرسول ﷺ فإنه بمجرد أن خرج عبينة والغطفانيون أمر المسلمين بالهجوم على الحصون ، إلى أن وصل جيشهم إلى حصن ناعم ، وكان عبارة عن مجموعة من الحصون . ورغم انسحاب بنى غطفان ، إلا أن اليهود دافعوا عن حصن ناعم دفاعًا مستميتًا بعد أن حشدوا فيه أشجع مقاتليهم ، غير أن المسلمين استطاعوا فى نهاية الأمر الاستيلاء على هذا الحصن .

وبعد سقوط حصن ناعم تحول المسلمون إلى حصن الصعب بن معاذ ، وقد حشد فيه اليهود خمسمائة مقاتل ، كما أن هذا الحصن كان يحوى الكثير من الطعام والودك والماشية والمتاع . وكان المسلمون بحاجة شديدة إلى هذه المواد الغذائية ، لأنهم كانوا يقاتلون منذ عشرة أيام ، حتى أصابهم الجهد والجوع ، فركزوا هجومهم على هذا الحصن وتمكنوا من فتحه بعد قتال شديد وقع بينهم وبين اليهود المدافعين عن الحصن(٤٣) .

وقد حصل المسلمون فى حصن الصعب بن معاذ على الكثير من الطعام الذى لم يظنوا أن يكون هناك بهذه الكثرة . فقد وجدوا الشعير والتمر ، والسمن والعسل ، والزيت ، والودك . ووجدوا كذلك الكثير من الدواب والأنعام مثل الحمير والبقر والغنم ووجدوا الأعلاف ، وآنية كثيرة من نحاس وفخار كان اليهود يستخدمونها للأكل والشرب . ووجدوا من البز عشرين عكمًا(٤٤) محزومة من غليظ متاع اليمن ، وألف وخمسمائة قطيفة ، ووجدوا عشرة أحمال من الخشب ، أمر به فأخرج من الحصن ثم أحرق ، كذلك وجد المسلمون خوابى السكر مليئة بالخمر فكسرت وأريق الخمر . أما آلة الحرب فقد وجدوا منها أيضًا الكثير ، مثل المنجنيق والدبابات(٤٥) .

وقد سمح الرسول ﷺ للمسلمين أن يأخذوا ما يكفيهم من الطعام والأعلاف لهم ولدوابهم دون أن ينقلوا منه شيئًا إلى بلادهم . وأصبح هذا الطعام مشاعًا للمسلمين لم يمنع منه أحد ، ولم يكن فيه خمس(٤٦) ، أى أن الرسول ﷺ لم يأخذ فيه خمسًا كما كان يفعل فى غزواته الماضية .

وبعد أن استولى المسلمون على حصن الصعب بن معاذ أمروا أن يزحفوا نحو حصن آخر من حصون النطاة ، وهو المعروف باسم قلعة الزبير ، وكان حصنًا منيعًا يقع فى رأس قلعة لا تقدر عليه الخيل ولا الرجال لصعوبته وامتناعه . وقد

أغلق اليهود أبواب الحصن عليهم . وبعد حصار استمر ثلاثة أيـام جـاء رجـل مـن اليهود يقال له غزّال إلى الرسول ﷺ فقال له :

أبا القاسم ، تؤمنى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة وتخـرج إلى أهل الشق ، فإن أهل الشق قد هلكوا رعبًا ؟ قال : فأمنه رسـول الله ﷺ علـى أهله وماله . فقـال اليهودى : إنك لـو أقمـت شـهرًا مـا بـالوا ، لهـم دبـول تحـت الأرض ، يخرجون بالليل فيشربون بها ثم يرجعـون إلى قلعتهـم فيمتنعـون منـك ، وإن قطعت عليهم ضجوا . فسار رسول الله ﷺ إلى دبولهـم فقطعهـا ، فلمـا قطـع عليهم مشاربهم لم يطيقوا المقام على العطش ، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر ، وأصيب من اليهود ذلك اليوم عشـرة ، وافتتحـه رسـول الله ﷺ ، فكان آخر حصون النطاة(٤٧) تحول بعـده الرسـول إلى الشـق الـذى كـان يتكون أيضًا من عدة حصون .

وكان أول حصن بدأ به الرسول ﷺ من حصون الشـق هـو حصـن أُبـىّ ، ولم يستغرق فتح هذا الحصن وقتًا طويلاً حيث اقتحمه المسلمون فهرب مـن كـان فيه من اليهود إلى حصن آخر مـن حصـون الشـق يعـرف بحصـن النّزار . غـير أن معنويات اليهود كانت قد انهارت تمامًـا . ولم يلبـث المسـلمون أن دخلـوا حصـن النّزار . فلما رأى أصحاب الحصون الباقية من الشق ما حـدث مـن سـرعة تداعـى حصنى أبىّ والنّزار حتى ولوا هاربين نحو حصون الكتيبة . وقد أدرك الرسـول ﷺ أن حصن النّزار سيشهد ، آخر مقاومة لليهود ، فبعـد أن سقطت جيمـع حصـون النطاة وجيمع حصون الشق ، لم تعد لأهالى حصون الكتيبة المقدرة علـى مواجهـة المسلمين ، ولذلك فضلوا أن يصالحوا الرسول ﷺ ، فأمن الرجال والذرية ، وكان فى حصون الكتيبة أكثر من ألفين منهم.(٤٨)

وكانت ممن أخذ فى حصن النّزار من النساء صفية بنـت حيـى بـن أخطـب التى كانت زوجًا لكنانة بن أبى الحقيـق ، ومعهـا ابنـة عـم لهـا وبعـض مـن نسـاء

يهود." ولم يسب فى حصون النطاة من النساء والذرية أحـد ولا بالشـق ، إلا فـى حصـــن الـنزار "(٤٩) . وذلـك أن اليهـــود فرَّغـوا حصـون النطـاة للمقـــاتلة ، وحولوا النساء والأطفال إلى حصون الكتيبـة . وكـان حصـن سـلالم بالكتيبـة هـو حصن آل أبى الحقيق . غير أن كنانة بن أبى الحقيق رأى أن حصـن الـنزار أحصـن ما هنالك ، ولذلك حَّول إليه أهله بمـن فيهـم صفيـــة فـى الليلـة التـى تحـول فيهـا الرسول ﷺ إلى حصون الشق ، ولهـذا السـبب وجـدت صفيـة فـى حصـن الـنزار عندما فتحـه المسـلمون. والمعـروف أن الرسـول ﷺ تـزوج صفيـة بنـت حيـى بـن أخطب فيما بعد .

وعندما أكمل الرسول ﷺ والمسلمون فتح حصون الشق تحولوا إلى الكتيبـة، كما ذكرنا ، والتى كان بها حصن سلالم ، وهو حصن آل أبى الحقيق ، وحصـن الوطيح ، وحصن القموص . وقد لجأ إلى هذه الحصون كل فل كان قد انهزم مـن النطاة والشق ، وأغلقوا عليهم أبـواب هـذه الحصـون لا يخرجـون منهـا للقتـال أو لمبارزة المسلمين كمـا كـانوا يفعلـون مـن قبـل فـى الحصـون التـى سـبق فتحهـا ، فحاصرهـم الرسول ﷺ أربعة عشر يومًا فلما رأى أنهم لا يخرجـون للقتـال ، كمـا أنهم لم يتأثروا بطول الحصار ، هم أن ينصب عليهم المنجنيـق ، فأصبـاهم الخـوف وتملكهم الذعر وأيقنوا بالهكلة . فأرسل كنانة بن أبى الحقيق رجلاً من اليهود يقال له شمّاخ إلى النبى ﷺ يقـول : " أنـزل إليـك أكلمـك " ، فلمـا نـزل شمـاخ أخـذه المسلمون فأتى به النبى ﷺ فأخبره برسالة كنانة فقبل الرسول ﷺ ، فنزل كنانة فى نفر من اليهود فتم الصلح بينه وبين الرسول ﷺ على حقن دماء من فى حصونهـم من المقاتلة وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضهـا بذراريهـم ويخلـون بـين رسول الله ﷺ وبين مـا كـان لهـم مـن مـال أو أرض ، وعلـى الصفـراء والبيضـاء والكراع والحلقـة(٥٠) ، وعلـى البز إلا ثوبًـا علـى ظهـر إنسـان ، وكـان حصيلـة

ماوجده المسلمون من السلاح : مائة درع ، وأربعمائة سيف ، وألف رمح ، وخمسمائة قوس عربية بجعابها .

كذلك كان لآل أبى الحقيق كنز وحلى كثيرة مشهورة ، فلما سأل الرسول ﷺ كنانة عنها أدعى أنهم انفقوه جميعًا فى الحرب . ولكن الرسول ﷺ شك فى كلامه ، ولذلك حذره من مغبة الكذب ، وأنه إن اتضح خلاف ذلك برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله ، وتصبح أموالهم ودماؤهم حل له . ورغم هذا التحذير أصر كنانة على انكاره ، فأشهد الرسول ﷺ على قوله جماعة من الصحابة وعشرة من اليهود .

ولم يلبث أن فضح أمر كنانة عندما سأل الرسول ﷺ ثعلبة بن سلام بن أبى الحقيق ، وكان رجلاً ضعيفًا(٥١)، عن الكنز ، فأخبر الرسول ﷺ أنه لا يعلم شيئًا، ولكنه رأى كنانة يطوف بخربة بجوار الحصن ، ولعله دفن فيها الكنز . فأرسل الرسول ﷺ نفرًا من المسلمين فحفروا فى الخربة حيث أشار ثعلبة ، فأخرجوا الكنز . ونتج عن ذلك أن استحل دم كنانة واستحلت أموالهم وسبى ذراريهم .

أما الكنز المذكور فقد كان يتكون فى معظمه من أسورة الذهب ، ودمالج الذهب ، وخلاخل الذهب وقرطة الذهب ، ونظم من جوهر وزمرد ، وخواتم ذهب ، وفتخ بجزع ظفار مجزع بالذهب .(٥٢)

والآن بعد أن رأينا كيف سقطت جميع حصون اليهود فى أيدى المسلمين ، ووقع فى أيديهم الكثير من الغنائم المنقولة ، ننتقل للحديث عن الكيفية التى تم بها التصرف فى هذه الغنائم وطريقة توزيعها على المسلمين .

* * *

كيفية التصرف فى الغنائم :

حصل المسلمون نتيجة فتحهم حصون خيبر على الكثير من الغنائم التى تشمل الأثاث والبز والقطائف والسلاح والغنم والبقر ، وكميات ضخمة من الطعام والأدم وعلف الدواب . وقد جعل الرسول ﷺ الطعام وعلف الدواب حقًا مشاعًا لجميع المسلمين المشتركين فى الغزوة ، يأخذ كل منهم حاجته وما يكفيه أثناء وجوده بخيبر ، ولا يحق لأحد يحمل من الطعام والأعلاف شيئًا إلى بلاده .

كذلك أشاع الرسول استخدام السلاح الذى غنم لجيمع المسلمين المقاتلين بخيبر ، ويحق لكل واحد أن يأخذ ما يحتاجه من السلاح ليقاتل به ، بشرط أن يرده بعد انتهاء القتال . ثم جمعت الغنائم المنقولة بما فيها السلاح ، وقسمت إلى خمسة أجزاء ، أخرج منها خمس للرسول ﷺ ، والأربعة أخماس الأخرى للمقاتلين . وبعد ذلك تم بيع جميع الغنائم بالمزايدة ، أى لمن يزيد ويدفع أعلى سعر ، وكان حق الشراء والبيع مفتوحًا للجميع ، مسلمين ويهود . وقد وكل الرسول ﷺ أمر بيع هذه المنقولات إلى فروة بن عمرو البياضى . ورغم كثرة الغنائم المنقولة إلا أنه تمكن من بيعها فى يومين فقط(٥٣) .

وكان الرسول ﷺ حريصًا على ألا يغل أحد شيئًا من الغنائم ، أى يأخذه وينتفع به دون سائر المسلمين ، مهما صغر هذا الشئ وقل ثمنه ، وذلك حتى يتحقق العدل والمساواة بين جميع المقاتلين .

أما الذين انتفعوا من غنائم خيبر فكانوا عدة فئات ، أولهم الذين شهدوا الحديبية مع الرسول ﷺ ، حتى الذين غابوا عن خيبر ولم يشهدوها لكنهم كانوا من أصحاب الحديبية ، كان لهم نصيب فى هذه الغنائم مثلهم مثل غيرهم من المقاتلين . وهناك من ماتوا فى الفترة ما بين الحديبية وخيبر ، وهؤلاء أعطى نصيبهم لورثتهم . كذلك الذين استشهدوا فى معارك خيبر نفسها حفظ لهم

حقهم فى الغنائم وأعطى لورثتهم . وهناك ثلاثة من الصحابة تخلفوا عن القتال بسبب المرض ، وهم سويد بن النعمان ، وعبد الله بن سعد بن خيثمة ، ورجل من بنى خُطامة ، وهؤلاء أيضًا أعطاهم الرسول ﷺ نصيبهم(٥٤) .

وكان المجموع الكلى للمقاتلين فى خيبر الذين شملتهم الفئة ألفًا وأربعمائة رجل ، منهم مائتا فارس ، وقد تولى إحصاء هؤلاء المسلمين المشتركين فى خيبر الصحابى زيد بن ثابت(٥٥) ، وجعل الرسول ﷺ نصيب الفارس من مال الغنائم المنقولة ثلاثة أسهم ، سهم للفارس وسهمين لفرسه . ويبدو أن بعض الصحابة كان له أكثر من فرس بخيبر ، أحدهما قاتل عليه ، والآخر أو الأخرى أعطاها لبعض المسلمين على أن يكون نصيب الفرس الزائد ، وهو سهمان ، لصاحب الفرس ، وهذا يعنى أن من كان له فرسان نال خمسة أسهم ، أربعة لفرسيه وسهم له . ويقال إن الرسول ﷺ لم يسهم لأكثر من فرسين ، ووفق رواية أخرى أنه لم يسهم إلا لفرس واحد(٥٦) .

أما الفئة الثانية التى جعل لها الرسول ﷺ نصيبًا فى غنائم خيبر ، فكانوا عشرة من يهود المدينة غزا بهم الرسول ﷺ خيبر ، ويقال إنه أسهم لهم كسهمان المسلمين ، غير أن هناك رواية أخرى تقول إنه لم يسهم لهم وإنما أحذاهم ، ولعل المقصود بذلك أنهم نالوا مكافأة لمرة واحدة دون أن يتكرر اعطاؤهم ، وفى الغالب فإن هذا يتعلق بغلة الأرض التى أصبحت حقًا ثابتًا للمسلمين المشتركين فى خيبر ولأسرهم توزع عليهم سنويًا أو موسميًا . أما الغنائم المنقولة فقد وزع ريعها فى وقته ، ونال هؤلاء اليهود العشرة نصيبهم منها بحكم اشتراكهم فى الغزوة إلى جانب المسلمين .

كذلك كان مع هؤلاء اليهود العشرة بعض مماليكهم ، وقد أعطاهم الرسول ﷺ أيضًا شيئًا من مال الغنائم(٥٧) .

أما الفئة الثالثة التى أسهم لها الرسول ﷺ من غنائم خيبر دون أن يكونوا من أصحاب الحديبية ، فقد كانوا جماعة من المبعوثين على رأسهم محيصة بن مسعود الحارثى ، أرسلهم الرسول ﷺ إلى فدك ليتفاوضوا مع يهودها على شروط الصلح الذى قبل يهود فدك إتمامه مع الرسول ﷺ (٥٨) .

وكان قد صحب الرسول ﷺ فى غزوته إلى خيبر عشرون امرأة من نساء المسلمين . وقد تطوعن لإغاثة المسلمين بتوفير السقاء لهم ومداوة الجرحى وغيرها من الأعمال . ولم يحرم الرسول ﷺ هؤلاء النسوة ثمرة جهودهن وحقهن فى غنائم خيبر . وتكاد جيمع الروايات تجمع على أن الرسول ﷺ رضخ لهؤلاء النسوة ولم يسهم لهن(٥٩) أى إنه لم يجعل لهن أسهما أسوة بالرجال ، وإنما وزع عليهن بعض الغنائم . من ذلك مثلاً إنه رضخ لكل امرأة خرزًا وأوضاح(٦٠) من فضة وقطيفة فدكية وبردًا يمانيًا وخمائل وقدرًا(إناة) من صفر (أى نحاس) . وفى رواية أخرى أن الرسول ﷺ قسم بينهن خرزًا وأعطى كل واحدة قطيفة وبردًا يمانيًا ودينارين(٦١) .

وخلاصة القول فإن الغنائم المنقولة وزع جزء منها ، وبخاصة الحلى ، على النساء اللاتى صحبن الرسول ﷺ فى غزوة خيبر ، وتم بيع ما تبقى فى مزايدة مفتوحة لمن يريد أن يشترى ، ثم وزع ريعها من المال على المقاتلة وعشرة من يهود المدينة ، ومبعوثى الصلح إلى فدك .

أما الأرض الزراعية وما تحويه من نخل وزروع ، فهذه كان لها ترتيب آخر.

توزيع غلة أراضى خيبر :

ذكر الواقدى أن الرسول ﷺ كلف زيدًا بن ثابت بإحصاء المسلمين المقاتلين الذين اشتركوا فى غزوة خيبر ، فوجد أن عددهم يبلغ ألفًا وأربعمائة رجل ، ومعهم مائتا فرس . وكما ذكرنا من قبل ، ليس من الضرورى أن تكون هذه

الخيل ملكًا لمائتى مسلم ، لأن البعض كان له أكثر من فرس ، قاتل على واحد منها ، وأعطى الآخر لرجل آخر من المسلمين . فإذا أخذنا فى الإعتبار ضعف الرواية التى تقول إن الرسول ﷺ أسهم للرجل الذى له فرسان مثلاً ، خمسة أسهم، أربعة لفرسيه وسهم له ، فإن السؤال الذى يطرح نفسه هو : من الذى أخذ سهمى الفرس الاخر ، هل هو صاحب الفرس ، أم الشخص الذى قاتل عليه؟ ولابد أولاً أن نثبت حقيقة هامة وهى أن الرسول ﷺ أسهم لمئتى فرس ، إذ ذكر الواقدى أن الرسول ﷺ جعل السهمان ثمانية عشر سهمًا ، كل سهم منها مائة سهم ، ليصبح عددها ألفًا وثمانمائة سهم ، وكان نصيب المقاتلين من ذلك ألفًا وأربعمائة سهم بمعدل سهم لكل رجل ، بينما كان نصيب الخيل أربعمائة سهم بمعدل سهمين لكل فرس(٦٢) . غير أنه ليس واضحًا من الذى استفاد من سهمى الفرس الذى يقاتل عليه شخص غير صاحبه . ولعل الاتفاق كان يقضى بأن يتقاسم هذا الرجل وصاحب الفرس السهمين ، والله أعلم .

هذه الألف وثمانمائة سهم(٦٣) كانت فى أراضى النطاة والشق ، وكان لكل مائة شخص سهم كبير له رئيس يقسم على أصحابه ما خرج من غلة الأرض . وكان النطاة خمسة أسهم هى : سهم الزبير بن العوام ، سهم بياضة ، سهم أسيد بن حضير ، سهم بلحارث بن الخزرج ، سهم ناعم (رجل يهودى) .

أما الشق فقد كانت على ثلاثة عشر سهمًا على النحو التالى :

سهم عاصم بن عدى ، سهم علىبن أبى طالب ، سهم عبد الرحمن بن عوف ، سهم طلحة بن عبيد الله ، سهم بنى ساعدة ، سهم بنى النجار ، سهم بنى حارثة بن الحارث ، سهم أسلم وغفار ، سهما سلمة ، سهم عبيد السِّهام ، سهم أوس ، سهم عبيد(٦٤) .

هذا وقد أبيحت عملية بيع وشراء الأسهم بين المسلمين ، فيقال مثلاً إن الرسول ﷺ اشترى من رجل من بنى غفار سهمه بخيبر ببعيرين بعد أن قال له :

"أعلم أن الذى آخذ منك خير من الذى أعطيك ، والذى أعطيك دون الذى آخذ منك " فقبل الرجل رغمًا عن ذلك .

كذلك اشترى عمرو بن الخطاب من الرسول ﷺ فى سهم ، واشترى عمر أيضًا من أصحابه الذين يشتركون معه فى السهم الكبير ، وعددهم مائة ، حتى صار السهم كله لعمر. كذلك ابتاع محمد بن مسلمة من سهم أسلم سهمين(٦٥) .

هذا فيما يتعلق بأراضى النطاة والشق ، أما أراضى الكتيبة فقد ورد فيها قولان مختلفان : فمن قائل إن الكتيبة كانت للنبى ﷺ خالصة ، ولم يوجف عليها المسلمون (أى لم يقاتلوا عليها) .(٦٦)

أما القول الآخر ، وهو الأقرب للصواب والقول ، فهو أن الرسول عندما انتهى من فتح خيبر جزأ النطاة والشق والكتيبة جيمعها إلى خمسة أجزاء ، ثم جعل خمس بعرات ، وأعلم فى بعرة منها وجعلها لله ، ثم قال : اللهم اجعل سهمك فى الكتيبة . فكان أول ما خرج منها الذى مكتوب فيه على الكتيبة ، فأصبحت الكتيبة نتيجة لهذا الخمس الخاص بالنبى ﷺ يتصرف فيه كيفما يشاء ، وأصبحت النطاة والشق هى أربعة الأخماس للمقاتلين بخيبر . ومما يدعم هذا القول ، أى أن الكتيبة صارت خمس رسول ﷺ ، أنه كان يطعم من أطعمهم فى الكتيبة وينفق على أهله منها ، كما أن الرسول ﷺ لم يطعم أحدًا من الشق والنطاة التى جعلها سهمانًا للمسلمين(٦٧) .

وهكذا أصبحت أراضى خيبر وما تنتجه من غلال وتمر ملكًا للمسلمين ، وهى أول أرض يمتلكها المسلمون خارج المدينة ، فكيف كان تصرفهم ازاءها ؟ هذا ما سنراه بعد قليل .

الاتفاق مع يهود خيبر بشأن الأرض :

لم يكن من السهل على المسلمين فى هذه المرحلة من حياة الأمـة الإسـلامية التى تتطلب التفرغ للجهاد ونشـر الدعـوة الإسـلامية ، أن ينصرفـوا لفلاحـة هـذه الأراضى التى آلت ملكيتها لهم ، أو الإشراف عليها وعلى نخلهـا وزرعهـا إشـرافًا مباشرًا . ولهذا لم يرفض الرسول ﷺ العرض الذى تقـدم بـه يهـود خيـبر ليـتركهم يعملون فى الأرض مقابل نصيب من إنتاجها . فوافق الرسول ﷺ علـى أن يقرهـم فى أراضى خيبر مقابل حصولهم علـى نصـف إنتاجهـا(٦٨) . وكـان هـذا الاتفـاق يسرى على أراضـى الشـق والنطـاة والكتيبـة جميعهـا . واختـار الرسـول ﷺ أحـد الصحابة من الأنصار ، وهو عبد الله بن رواحة ، ليخرص عليهـم النخـل ، ويقـال إنه خرص عليهم أربعين ألف وسق(٦٩) . وعندمـا توفـى عبـد الله بـن رواحـة فـى غزوة مؤتة سنة ٨ هـ بعث الرسول ﷺ أبا الهيثـم بـن التيهّـان خارصًـا إلى خيـبر . وفى رواية أخرى أنه بعث جبار بن صخر أو فروة بن عمرو (البياضى) (٧٠) لهذه المهمة . والجدير بالذكر أن جميع هؤلاء الرجال الذين تولوا هذه الوظيفة كانوا من الأنصار من أهالى المدينة الذين كانت لهم خبرة بالنخل وإنتاجها من التمر .

إنتاج الكتيبة وكيفية توزيعها :

لعل ما أوردته بعض المصادر(٧١) عن إنتاج الكتيبة يعطينا فكرة عمـا كـانت تنتجه أراضى خيبر من تمر ومحصولات زراعية أخرى . فقد ذكر أن الكتيبة ، وهى تشكل خمس الرسول ﷺ (بمعنى آخر خمس خيبر) كان إنتاجها كالآتى :

٨٠٠٠ وسق تمر لليهود نصفها ، أربعة آلاف .

٣٠٠٠ صاع شعير ، للرسول ﷺ ١٥٠٠ ولليهود ١٥٠٠ صاع .

١٠٠٠ صاع نوى تمر ، للرسول ﷺ نصفه .

ولعل هذا الإنتاج كان شبه ثابت ، أو ربما يمثل متوسط ما كانت تنتجه أراضى الكتيبة ، لأن الرسول ﷺ كان يطعم نساءه وأقرباءه وبعض الفقراء طعمًا على النحو التالى :

٨٠ وسق تمر و٢٠ وسق شعير لكل زوجة من زوجاته .

٢٠٠ وسق للعباس .

٣٠٠ لفاطمة وعلى من الشعير والتمر ، منها ٨٥ وسق شعير ، لفاطمة من ذلك ٢٠٠ وسق .

١٥٠ وسق لأسامة بن زيد (٤٠ شعير و٥٠ نوى) .

١٥ وسق شعير للمقداد بن عمرو .

٥٠٠ أوساق شعير لأم رمثة بنت عمر بن هاشم بن المطلب .

١٠٠ وسق لأبى بكر .

١٤٠ وسق لعقيل بن أبى طالب .

٥٠ وسق لبنى جعفر بن أبى طالب .

١٠٠ وسق لربيعة بن الحارث .

١٠٠ وسق لأبى سفيان بن الحارث بن المطلب .

٣٠ وسق للصلت بن مخرمة بن المطلب .

٥٠ وسق لأبى نبقة .

٥٠ وسق لركانة بن عبد يزيد .

٥٠ وسق للقاسم بن مخرمة بن المطلب .

٣٠ وسق لمسطح بن أثاثة بن عباد وأخته هند .

٤٠ وسق صفية بنت عبد المطلب .

٣٠ وسق بحينة بنت الحارث بن المطلب .

٤٠ وسق ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب .

١٠٠ وسق الحصين وخديجة وهند بنت عبيدة بن الحارث .

٣٠ وسق أم الحكم بنت الزبير بن عبد الطلب

٤٠ وسق أم هانى بنت أبى طالب .

٣٠ وسق جمانة بنت أبى طالب .

٣٠ وسق أم طالب بنت أبى طالب .

٥٠ وسق قيس بن مخرمة بن المطلب .

٥٠ وسق أبو أرقم .

٤٠ وسق عبد الرحمن بن أبى بكر .

٤٠ وسق أبى بصرة .

٣٠ وسق ابن أبى حبيش .

٥٠ وسق عبد الله بن وهب وإبنيه (٤٠ لابنيه) .

٥٠ وسق نميلة الكلبى من بنى ليث .

٣٠ وسق أم حبيبة بنت جحش .

٣٠ وسق ملكان بن عبده .

٣٠ وسق مخيصة بن مسعود .

إذا أحصينا مجموع هذه الطعم المذكورة آنفًا نجده يقل كثيرًا عن ثلاثة آلاف وسق ، بينما إنتاج الكتيبة كان يزيد كثيرًا . ومن ناحية أخرى فإننا نلاحظ ليس واضحا ما ناله كل شخص من الأنواع المختلفة من المحصول ، ما عدا فى حالات قليلة . أما مابقى من إنتاج الكتيبة فلابد أن الرسول ﷺ أطعم منه آخرين من فقراء المسلمين ، كما أنه كان يحمل منه فى سبيل الله ، ويعطى منه من يأتيه من وفود العرب ليتألفهم للإسلام . ومن هذه الفئات أناس صادف قدومهم إلى الرسول ﷺ عند فتح خيبر ، دون أن يشتركوا فيه ، فأطعمهم الرسول ﷺ من الخمس . ومن هؤلاء الرهاويون الذين أوصى لهم بجاد مائة وسق (أى مما يجمع من تمر) والداريون ، - وكانوا عشرة قدموا من الشام إلى رسول الله ﷺ - فأوصى لهم بطعمة مائة وسق . كذلك أوصى للأشعريين بجاد مائة وسق .(٧٢)

وأصبحت كل هذه الطعم التى قسمها الرسول ﷺ من الخمس حقًا ثابتًا لكل من أعطاهم ، ينالونه فى حياة الرسول ﷺ وخلافة أبى بكر . أما من مات من المطعمين أو قتل فى حياة الرسول ﷺ وأبى بكر فإنه يرثه تلك الطعمة من ورث ماله .(٧٣) غير أن الخليفة عمر بن الخطاب عندما تولى الخلافة كان له رأى فى هذا الأمر . إذ يقال إنه قبض طعمة كل من مات و لم يورثه ، فقبض طعمة زيد بن حارثة ، وقبض طعمة جعفر بن أبى طالب ، وكلمة على بن أبى طالب فأبى ، وقبض طعمة صفية بنت عبد المطلب فكلمه الزبير (بن العوام ، ابنها) فى ذلك حتى غالظه فأبى عليه برده ، فلما ألح عليه قال : أعطيك بعضه . ولكن الزبير رفض وأصر على أخذها كلها . كذلك يقال إن عمر قبض طعمة فاطمة فكلم فيها فأبى أن يفعل(٧٤) .

غير أن الخليفة عمر استثنى من ذلك أزواج رسول ﷺ ، فكان يجيز ما صنعن ، فماتت زينب بنت جحش فى خلافته فخلى بين ورثتها وبين تلك الطعمة ، وأجاز ما صنعن فيه من بيع أو هبة . وورث ذلك كل من ورثهن ، و لم

يفعل بغيرهن ، وأبى أن يجيز بيع من باع الطعمة وقال : " هـذا شـئ لا يعـرف إذا مات المطعم بطل حقه ، فكيف يجوز بيعه " (٧٥) .

غير أن هناك رواية أخرى تنفى استثناء عمر لأزواج الرسول ﷺ وعلى قول هذه الرواية فإن عمر قبض طعمة زينب حجش زوج الرسول ﷺ التى توفيت سنة ٢٠هـ فى خلافته وأبى أن يعطيها الورثة وقال : إنما كانت مـن النبى ﷺ طعمـة ما كان المرء حيًا فإذا مات فلا حق لورثته(٧٦) .

وبغض النظر عن الروايتين المختلفتين ، فإن الخليفة عمـر لابـد أن تكـون لـه أسباب دفعته لوقف وراثة الطعمة بعد أن استمر العمل بها فى عهدى الرسـول ﷺ والخليفة أبى بكر . ولعل السبب فى ذلك هو تبـدل الأحـوال المعيشية للمسـلمين وارتفاع مستواها بعد سنة ٢٠هـ وبعد الفتوحات التى تمت وكثرة الأموال بـأيدى الناس . أو ربما رأى عمر أن هذه الطعم مـن حـق ولى الأمـر بعـد الرسـول ﷺ أن يتصرف فيها بطريقته ، وأن بيت مال المسلمين أحـق بهـا لينفـق منهـا فـى الجهـاد وغيره من المصلحة العامة . لعل كل ذلك وغيره من الأسباب (٧٧) جعل عمر يـرد هذه الطعـم لبيـت مـال المسـلمين ويوقـف توارثهـا . والمعـروف أن الخمـس كـان الرسول ﷺ ينفق منه على الفئات التى حددتهـا الآيـة الكريمـة : ﴿ واعلَمـوا أنّمـا غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسـول ولـذى القربـى واليتـامى والمسـاكين وابـن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يـوم الفرقـان يـوم التقـى الجمعـان والله على كل شئ قدير ﴾ .(٧٨)

أما بعد أن أصبح ورثـة ذوى القربـى فـى وضـع معيشـى مريـح ، فأنـه مـن الممكن توجيه هذا الخمس لمصلحة المسلمين العامـة . والجديـر بـالذكر أن الخليفـة عمر لم ينفرد بهذا الرأى ، فقد تبعه على ذلك الخليفة عثمان بن عفان الذى رفض أيضًا نقض ما اتخذه عمر فى شأن الطعمة(٧٩) .

ومما يدعم قولنا أن إجراءات الخليفة عمر قد تمت فى الغالب فى أواخر عهده ، وأن عمر عندما عزم على إخراج اليهود من خيبر وفدك ، أثبت لأصحاب الطعم الأخرين ولبعض ورثة من توفى منهم حقهم فيها . وعلى ضوء ذلك فإنه من المؤكد أن الخليفة عمر لم يتعرض لما ناله المسملون الآخرون الذين اشتركوا فى غزوة خيبر من أرض أو إنتاج ، لأن هذا أساسًا حقهم ويختلف عن وضع الخمس . ولذلك لم نسمع أن الخليفة عمر منع أحدا من هؤلاء المسلمين من التصرف فى حقه ببيع أو شراء ، أو حال دونه ودون ورثته ، كما سنرى عندما نأتى للحديث عن الأسباب التى أدت لإخراج اليهود من الحجاز .

أما الان فننتقل للحديث عن صلح فدك واتفاق الرسول ﷺ معهم ومع يهود تيماء ووادى القرى ، لأنها تمت أثناء غزوة خيبر أو عقبها مباشرة فاعبرت مكملة لغزوة خيبر .

أمر فدك ووادى القرى وتيماء :

جاء فى كتاب المغازى للواقدى أنه " لما أقبل رسول الله ﷺ إلى خيبر فدنا منها بعث محيصة بن مسعود إلى فدك يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم أن يغزوهم كما غزوا أهل خيبر ويحل بساحتهم " فذهب إليهم محيصة وأقام عندهم يومين لإقناعهم بقبول الصلح . ولكن يبدو أنهم كانوا يؤملون فى أن يفشل المسلمون فى فتح خيبر لما فيها من رجال وحصون وسلاح . غير أنهم لم يلبثوا أن عدلوا عن رأيهم بعد أن بدأت أخبار أولى الانتصارات التى حققها المسلمون فى خيبر تصل إلى مسامعهم . ففت ذلك فى أعضادهم ووافقوا على أن يبعثوا مع محيصة رجالاً منهم يأخذون لهم الصلح من الرسول ﷺ . فعرضوا على الرسول ﷺ أن يخرجوا من بلادهم ولا يكون للنبى ﷺ عليهم من الأموال شئ ، وإذا كان جذاذها جاءوا فجذوها . فأبى النبى ﷺ أن يقبل ذلك . وعرض عليهم من جانبه أن يحقن دماءهم ويجليهم ويخلو بينه وبين الأموال(٨٠) .

وقد لعب محيصة بن مسعود دورًا بارزًا فى الوصول إلى حل وسط ، فنصح يهود فدك بقبول الصلح لأن وضعهم ضعيف وليست لهم منعة ولا رجال ولا حصون . وبالفعل تم الصلح بين الرسول ﷺ وبينهم أن لهم نصف الأرض بتربتها ، ولرسول الله ﷺ نصفها ، فأقرهم الرسول ﷺ على ذلك ولم يغزهم . وبقى هذا الاتفاق ساريًا حتى خلافة عمر بن الخطاب . وسنرى فيما بعد ما فعله الخليفة عمر مع يهود فدك وغيرهم من يهود الحجاز وأطراف الشام المتاخمة للحجاز .

وبعد أن فرغ الرسول ﷺ من فتح خيبر عزم على المسير إلى وادى القرى التى كان بها أيضًا مجموعات من اليهود . فلما وصل هو والمسلمون إلى هناك أظهر اليهود المقاومة . وكان قد انضم إليهم أناس من العرب فبادروا برمى المسلمين بسهامهم . ولكن على الرغم من ذلك فإن الرسول ﷺ عرض عليهم الإسلام ، وأنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله . فرفضوا هذا العرض ، وخرج منهم رجال يدعون للمبارزة ، فتصدى لهم رجال من المسلمين وتغلبوا حتى قتل من اليهود أحد عشر رجلاً . ولم يطل القتال كثيرًا، ففى صبيحة اليوم التالى تمكن الرسول ﷺ والمسلمون من فتح وادى القرى عنوة ، وغنم منهم أموالاً وأثاثًا ومتاعا كثيرًا ، فقسم الغنائم على أصحابه ، وترك النخل والأرض بأيدى اليهود وعاملهم عليها(٨١)

ومع أن الوقدى لم يوضح طبيعة الاتفاق بدقة ، إلا أنه فى الغالب كان شبيهًا باتفاق الرسول ﷺ مع يهود خيبر وفدك ، أى على المناصفة للمحصول ، وربما للأرض كذلك .

أما يهود تيماء فإنهم عندما بلغتهم أخبار انتصارات الرسول ﷺ على خيبر وفدك ووادى القرى ، فضلوا أن يصالحوه قبل أن يسير إليهم ، فصالحهم الرسول ﷺ على الجزية ، وهو مبلغ محدد من المال أو جزء متفق من محصولهم يؤدونه فى

مقابل احتفاظهم بأموالهم وأراضيهم . وظل اتفاقهم هذا سارى المفعول حتى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، كما سنرى بعد قليل .

أما الآن ، وبعد أن رأينا ما حدث من غزو الرسول ﷺ لخيبر ووادى القرى وما نتج عنه من اتفاقات بينه وبين أهاليهما وأهالى فدك وتيماء من اليهود ، ننتقل للحديث عن تعديات يهود خيبر على بعض المسلمين فى عهد الرسول ﷺ ثم فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وما نتج عنها .

تعديات يهود خيبر على المسلمين ونتائجها :

١ - فى عهد الرسول ﷺ :

كان أول اعتداء يقع من يهود خيبر على رجل من المسلمين بعد حوالى عشرة أشهر من غزوة خيبر ، لأن هذه الغزوة كانت فى ملطلع عام ٧هـ وحدث الاعتداء عندما كان الرسول ﷺ يستعد لعمرة القضية فى شهر ذى القعدة من نفس العام . والذى حدث هو أن بعض المسلمين ، وفيهم محيصة(٨٢) وعبد الله بن سهل خرجوا إلى خيبر بسبب ما أصابهم من جهد ومجاعة بالمدينة ، وأخذوا ينتقلون ما بين مزارع الشق والنطاة إلى أن استقر بهم المقام فى الكتيبة حيث وجدوها خيرًا لهم قاموا بها أيامًا (٨٣) . ثم عن لأحدهم ، وهو عبد الله بن سهل ، أن يذهب بمفرده إلى الشق رغم تحذير صاحب له من اليهود فلما استبطأ قدومه غدا فى أثره يسأل عنه حتى الشق فأخبره بعض أهلها أنه مر بهم حين غابت الشمس يريد النطاة ، فذهب إلى هناك ، ولكنه لم يجد له أثرًا ، إلى أن دله غلام يهودى على مكانه ، فوجده وقد قتل وألقيت جثته فى جب . فاستعان ببعض اليهود على إخراجه من الجب ثم كفنه ودفنه ، وخرج سريعا إلى المدينة فأخبر قومه الخبر . فخرج مع محيصة ثلاثون رجلاً منهم أخوه حويصة ، وعبد الرحمن بن سهل أخو القتيل ، وذهبوا إلى الرسول ﷺ . وكان الخبر قد بلغه ، فأخبروه أنهم

يتهمون اليهود بقتل عبد الله بن سهل فكتب النبى ﷺ إليهم فى ذلك ولكنهم انكروا التهمة ، فقال الرسول ﷺ لحويصة ومحيصة وعبد الرحمن ولمن معهم : تحلفون خمسين رجلاً خمسين يمنيًا بالله أنهم قتلوا صاحبكم وتستحقوا الدم ، فقالوا: يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد . فقال الرسول ﷺ لهم : تحلف لكم اليهود خمسين رجلاً خمسين يمنًا بالله ما قتلوه . فقالوا : يا رسول الله كيف نقبل إيمان قوم كفار . ويقال إن الرسول ﷺ جعل دينه على اليهود لأنه قتل بحضرتهم ولكنه أعانهم ببضعة وثلاثين بعيرًا(٨٤) .

فكان هذا أول اعتداء يحدث من اليهود بخيبر بعد الغزوة ، وقد استطاع الرسول ﷺ أن يجد حلاً للمشكلة وعالجها بطريقة حكيمة ، واعتبرها فى الغالب حادثًا فرديًا ، ولكن هل ارعوى اليهود واعتبروا بهذه المعاملة الكريمة ؟ الواقع أنهم لم يفعلوا .

٢ – فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب :

وقع الاعتداء الثانى على المسلمين فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان المعتدى عليه هذه المرة ابنه عبد الله بن عمر ، الذى كان قد خرج هو والزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل إلى أموالهم بخيبر يتعاهدونها ، حيث اعتاد الخليفة أبو بكر ، ومن بعده عمر أن يبعثا إلى خيبر من يطلع على أراضيهم وينظر فى أمرها . فلما قدم عبد الله وصحبه إلى خيبر تفرقوا للقيام بهذه المهمة ، فوقع الاعتداء على عبد الله بن عمر ليلاً وهو نائم ، حيث صرعت يداه ، أى جذبتا جذبًا عنيفًا إلى الخلف حتى أصبحتا وكأنهما موثوقتان ، فأصلحهما أصحابه ، وقدم عبد الله المدينة وأخبر أباه بما صنع به(٨٥) والحقيقة أننا لا ندرى ماذا فعل عمر إزاء ذلك ولكنه فى الغالب سكت عن هذا الحادث لأن أحدًا لم يقتل .

غير أن اعتداء ثالثًا وقع على رجل مسلم يدعى مظهر بن رافع الحارثى ، وكان قد أقبل من الشام بعشرة أعلاج(٨٦) يعلمون له فى أرضه ، فجاء بهم إلى خيبر . وبعد أن مكث ثلاثة أيام دخل عليهم رجل من اليهود فقال : " أنتم نصارى ونحن يهود وهؤلاء قوم عرب قد قهرونا بالسيف ، وأنتم عشرة رجال ، أقبل رجل واحد منهم يسوقكم من أرض الخمر والخير إلى الجهد والبؤس ، وتكونون فى رق شديد ، فإذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه . قالوا : ليس معنا سلاح. فدسوا إليهم سكينتين أو ثلاثة . قال : فخرجوا فلما كانوا بثبار (٨٧) قال لأحدهم ، وكان الذى يخدمه منهم : ناولنى كذا وكذا . فأقبلوا إليه جميعا وقد شهروا سكاكينهم ، فخرج مظهر يعدو إلى سيفه ، وكان فى قراب راحلته . فلما انتهى إلى القراب لم يفتحه حتى بعجوا بطنه ، ثم انصرفوا سراعًا حتى قدموا خيبر على اليهود فآووهم وزودوهم وأعطوهم قوة فلحقوا بالشام(٨٨) .

وصلت أخبار هذا الاعتداء إلى الخليفة عمر فخطب فى الناس وأخبرهم باعتداء اليهود على مظهر بن رافع وقتلهم إياه ، واعتدائهم من قبل على عبد الله ابن عمر ، كما أعاد إلى الأذهان الجريمة التى ارتكبوها فى عهد الرسول ﷺ عندما قتل عبد الله بن سهل فى خيبر . وقال عمر إنه لا يشك فى أن اليهود هم الفاعلون لأنه ليس للمسلمين هناك عدو غيرهم . وقد قرر عمر الخروج بنفسه إلى خيبر لإخراج اليهود منها وتقسيم أراضيها وتسليمها لأصحابها .

كان الخليفة عمر يعلم أن الرسول ﷺ عندما صالح يهود خيبر وترك لهم الأرض يزرعونها بالمناصفة ، قال لهم : أقركم ما أقركم الله ، ومعنى ذلك أنه قد يحين وقت يأمرهم فيه هو أو أحد خلفائه بالخروج من خيبر . وكان مما قوى من موقف الخليفة عمر أنه بلغه أن الرسول ﷺ قال فى مرضه الذى توفى فيه : " لا يجتمع بجزيرة العرب دينان"(٨٩) ففحص عن ذلك عمر حتى وجد عليه الثبت من لايتهم، فأرسل إلى يهود الحجاز أن الله قد أذن فى جلائهم ، فمن كان له منهم

عهد عند الرسول ﷺ فهو قاضيه له . وقد سرى قرار عمر بإخراج اليهود على يهود خيبر وفدك فقط، ولم يخرج يهود تيماء ووادى القرى لأنهما داخلتان فى أرض الشام ، وكان عمر يرى أن ما دون وادى القرى إلى المدينة حجاز ، وأن ما وراء ذلك من الشام(٩٠) .

إعادة تقسيم خيبر فى عهد الخليفة عمر :

عندما اتخذ الخليفة عمر قراره بإخراج اليهود من خيبر ، كان لابد له من إعادة تقسيم الأنصبة فيها على أساس الاتفاق الذى عقده الرسول ﷺ مع اليهود هناك ، حيث أنه بخروج اليهود يصبح هذا الاتفاق لاغيًا وتنتهى بذلك مسألة المناصفة التى كان اليهود بمقتضاها يحصلون على نصف إنتاج خيبر من المحاصيل الزراعية . فخرج عمر إلى خيبر مصطحبًا معه أربعة قسَّام (أى الأشخاص الذين سيتولون التقسيم) وهم فروة بن عمرو البياضى ، وحباب بن صخر السلمى ، أبو الهيثم بن التيهان ، وزيد بن ثابت. وفى رواية أخرى أن الخليفة عمر صحب معه رجلين من القسام هما جبار بن صخر وزيد بن ثابت ، وهما قاسما المدينة وحاسباها(٩١).

وقد جاء تقسيم عمر متفقًا مع تقسيم الرسول ﷺ ، فجزأ أراضى الشق والنطاة على ثمانية عشر سهمًا ، ثلاثة عشر سهمًا منها فى الشق ، وخمسة أسهم فى النطاة ، وسمى رؤساء هذه الأسهم فجاءت على النحو الذى ذكرنا من قبل .

أما بالنسبة لكتيبة ، وهى خمس الرسول ﷺ ، فيقال إن الخليفة عمر خير أزواج النبى ﷺ فى طعمهن التى أطمعنهن الرسول ﷺ فى الكتيبة ، إن أحبن أن يقطع لهن من الأرض والماء طعمهن ، أو يمضى لهن الوسوق (أى نصيبهن من المحصول) وتكون مضمونة لهن ، فكانت عائشة وحفصة رضى الله عنهما ممن اختار الأرض والماء ، وكان سائرهن أخذن الوسوق مضمونة (٩٢) . ويظهر مما

روى عن السيدة عائشة أن من اختارت الأرض والماء كان اختيارها موفقًا أكثر ممن اخترن الطعم ، إذا يبدو أن مروان بن الحكم ، عندما أصبح واليًا على المدينة من قبل معاوية بن أبى سفيان ، لم يلتزم إلتزامًا تامًا بحق أصحاب الطعم ، فكان مرة يعطيهم ومرة ينقصهم ومرة لا يعطيهم شيئًا .(٩٣)

وهناك رواية أخرى تقول إن عمر خير الناس كلهم فمن شاء أخذ الطعمة كيلاً ومن شاء أخذ الماء والتراب ، كما أنه أذن لمن شاء أن يبيع نصيبه . وقد قام البعض بالفعل ببيع نصيبه ، ومن هؤلاء الأشعريون الذين باعوا نصيبهم ، وهو مائة وسق ، من عثمان بن عفان بخمسة آلاف دينار . كما باع الرهاويون نصيبهم من معاوية بن أبى سفيان بمثل ذلك(٩٤) ولكن فى الغالب أن البيبع لعثمان ومعاوية تم أثناء خلافة كل منهما ، وبذلك يوحى الثمن الذى بيع به مائة وسق ، لأنه مهما عل السعر فإنه لن يبلغ هذا الحد فى خلافة عمر بن الخطاب .

إعادة تقسيم وادى القرى :

وبعد أن فرغ الخليفة عمر من خيبر توجه ومعه القسام الأربعة السابق ذكرهم إلى وادى القرى ، فقسموها على أعداد السهام . والحقيقة أن ما جاء فى المصادر عن وادى القرى والكيفية التى تعامل بها الرسول ﷺ مع أهله مقتضب جدًا وليس واضحًا تمامًا . ففى الوقت الذى ذكر ابن إسحاق أن الرسول ﷺ عندما فرغ من خيبر انصرف إلى وادى القرى فحاصر أهله ليالى ثم انصرف راجعًا المدينة دون أن يشير إلى أن الرسول ﷺ فتح وادى القرى أو اتفق مع أهله على العمل بالأرض نظير جزء من محصولها ، نجد الواقدى يقول إن الرسول ﷺ فتح وادى القرى عنوة فغنمة الله أموالهم وأثاثًا ومتاعًا كثيرًا ، فقسم الرسول ﷺ الغنائم بين أصحابه خلال الأيام الأربعة التى أقامتها بوادى القرى . أما النخل والأرض فتركها بأيدى اليهود وعاملهم عليها.(٩٥)

ومهما يكن من أمر فإن رواية الواقدى لا تعطينا تفصيلاً عن هـذا الاتفـاق، هل كان مثلاً بالمناصفة مثلما كان مع يهـود خيـبر ، أم كـان شـبيهًا بالاتفـاق مـع يهود فدك ، أم أنه غير ذلك . وماذا عن نصيب المسلمين فى هذا الاتفاق ؟ هل تم توزيعه على المقاتلة مثلما حدث فى خيبر ؟ وهل تم إخراج الخمس من ذلك ؟ هذه كلها أسئلة لا تجد لها إجابة ، وقد انعكس عدم الوضوح هذا على التقسيم الـذى أجراه الخليفة عمر فيما بعد فى وادى القرى. فهنا نجد الحديث عن تسمية جديدة، فبدلاً عن طعمة ورد لفظ " خطر " الذى عرفه الواقدى بأنه يعنى السهم . أما ابـن هشام فقد ذكر أيضًا هذه التقسيمات ، مع العلم بأنـه لم يشـر إليهـا مـن قبـل فـى حديثه عن مسير الرسول ﷺ إلى وادى القرى ، أما الخطـر فقـد فسـره ابـن هشـام بأنه النصيب.(٩٦)

أضف إلى ذلك أنه مما يزيد فى الغموض أن هـذه التقسيمات شملـت أفـرادًا بعضهم كان له نصيب فى خيبر والبعض الآخر لم يرد لـه ذكـر فـى قائمـة أسـهم خيبر . وكان عدد هذه الأخطار (إن جازلنا أن نجمعهـا هكـذا) ثمانيـة وعشـرين خطرًا ، وزعت على ثلاث وثلاثين شخصًا ، حيث نال بعضهم نصف خطر بينمـا اشتراك البعض ، كل اثنين منهم فى خطر .

الخاتمـــــة :

كانت غزوة خيبر خاتمة لسلسلة من المعارك التى خاضتهـا الأمـة الإسـلامية ضد يهود الحجاز ، بدءًا بيهود المدينة (بنى قينقاع وبنى النضـير ، وبنـى قريظـة) وانتهاء بيهود خيبر وفدك وتيماء ووادى القرى . فبعد أن أخرج الرسول ﷺ يهود بنى النضير من المدينة ، توجه معظمهم ، وعلى رأسهم زعمائهم ، إلى خيبر فـدان لهم يهودها على كثرة أعدادهـم وقلـة بنـى النضـير ، فـأصبحت خيـبر ، بسـكانها وحصونها وأراضيها الخصبة ومزراعهـا ، تشـكل قـوة حربيـة واقتصاديـة واضحـة المعالم . وليت اليهود فى خيـبر انصرفـوا لمـا فيـه مصلحتهـم ومصلحـة جـيرانهم ،

وبخاصة الأمة الإسلامية ، ولكنهم بدأوا يستغلون أموالهم فى محاربة الإسلام والمسلمين ، فكان تأليبهم للأحزاب فى غزوة الخندق .

وقد أدرك الرسول ﷺ مدى الخطر الذى أصبح يشكله يهود خيبر على الأمة الإسلامية الناشئة ، فكان هذا من أهم الأسباب المؤدية لغزوهم .

وكان توقيت غزوة خيبر أيضًا مناسبًا جدًا ، حيث أن الرسول ﷺ قبل ذلك بقليل كان قد عقد اتفاقية الحديبية مع قريش والتى اتفق فيها على هدنة بين الجانبين لمدة عشر سنوات . وبذلك أصبحت قريش مقيدة بتلك الاتفاقية ولا تستطيع أن تمد يد العون لحلفائها من اليهود .

ومن الأسباب لغزوة خيبر أيضًا أن الله وعد رسوله خيبر أن يغنمها له لتكون مكافأة للملسمين الذين خرجوا مع الرسول ﷺ إلى الحديبية وبايعوه بيعة الرضوان . وإننا لنجد فى انتصار الرسول ﷺ والمسلمين على اليهود فى خيبر تصديقًا لهذا الوعد . فإذا حكمنا العقل المنطق دون غيرهما وتساءلنا : كيف يمكن لنا أن نفسر انتصار ألف وأربعمائة رجل على عشرة آلاف رجل من اليهود مدججين بالسلاح فى حصون على ذرى الجبال يتوفر فيها الماء والطعام ، بخلاف أنه نصر من الله ؟هذا هو تفسيرنا من وجهة نظر باحث مسلم ، فلينظر من يرى غير هذا ليجد ما يبرر به هزيمة اليهود فى خيبر وهم بهذه الكثرة والقوة .

أما رأينا حول هزيمة اليهود فيتمثل أيضًا فيما وصفهم به القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ .(٩٧)

والحقيقة أن ما جاء فى الآية الكريمة ينطبق تمامًا على وضع وأحوال يهود خيبر . فبالإضافة إلى حصونهم واحتمائهم بها فهناك الكثير من قرائن الأحوال التى نستخلصها من أخبار غزوة خيبر ما يؤكد لنا ذلك :

١ – أولها أنه على الرغم من إظهار يهود المدينة تعاطفهم مع يهود خيبر إلا أن هناك عشرة من اليهود اشتركوا مع الرسول ﷺ فى غزوة خيبر إلى جانب المسلمين ، مما يؤكد أن هناك فئة منهم لا تؤيد يهود خيبر .

٢ – أما يهود خيبر أنفسهم ، فرغم مظاهر القوى والحدة التى بدت منهم إلا أنهم كانوا من بداية أمرهم مختلفين ، فبعضهم كان يرى الخروج لمواجهة المسلمين بينما رأى البعض الآخر البقاء داخل حصونهم .

٣ – عندما وصل الرسول ﷺ إلى جهات خيبر خرج رجل من اليهود يدعى سماك وجاء إلى معسكر المسلمين وطلب من الرسول ﷺ أن يأمنه ، ففعل ، فأخبره بعورات اليهود وخوفهم منه ، وأطلعه على المكان الذى خبأوا فيه بعض سلاحهم . كما نقل إليه خبر انسحاب بنى غطفان من خيبر وتركهم مساعدة حلفائهم من اليهود . وعندما فتح الرسول ﷺ الحصن الذى فيه الذرية رد لهذا اليهودى زوجته ، وتدعى نفيلة .

٤ – رجل آخر من اليهود يدعى غزّال خرج للرسول ﷺ وبعد أن أمنه على حياته كشف له ثغرة فى حصن الزبير مما مكان المسلمين من فتحه .

٥ – عندما تداعت معظم الحصون و لم يبق إلا حصن آل أبى الحقيق وأيقن كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق بالهكلة ، أرسل رجلاً إلى الرسول ﷺ ليصالحه ، فوافق الرسول ﷺ على ذلك ونزل إليه كنانة ، فكان من شروط صلحه ألا يخبئ عنه شيئًا خاصة فيما يتعلق بأموالهم و كنوزهم ، فادعى كنانة أنهم أنفقوها جميعًا فى حربهم ، فأشهد الرسول ﷺ جماعة من الصحابة وعشرة من اليهود على ذلك . ويقال إن أحد اليهود قام فقال لكنانة : إذا كان عندك ما يطلب منك محمد أو تعلم فأعلمه فإنك تأمن على دمك ، وإلا فوا الله ليظهرن عليه ، قد أطلع على غير ذلك بما لم نعلمه ، فزبرة .(أى زجرة) ابن أبى الحقيق فتنحى اليهود فقعد .

٦ - وكانت المفاجأة أن الذى كشف للرسول ﷺ المكان الذى أخفى فيه كنانة الكنز هو ابن عمه ثعلبة بن سلام بن أبى الحقيق .

٧ - شئ آخر يشير إلى أن يهود خيبر لم يكونوا قلبًا وقالبًا خلف زعمائهم ، وهو أنه بمجرد أن انتهت المعارك وبدأت حركة بيع وشراء الغنائم نجد اليهود الذين أمنهم الرسول ﷺ يشتركون مع غيرهم من المسلمين فى بيع وشراء غنائم خيبر ، وكأنها لم تكن لهم ولقادتهم .

من كل ذلك نستطيع أن نستشف أن يهود خيبر لم يكونوا على وفاق مع زعمائهم من بنى أبى الحقيق وبخاصة كنانة ، ولعلهم كانوا يحقدون عليهم استئثارهم بالثروة ويحسدونهم على مكانتهم السياسية والاجتماعية . ولعل كنانة أيضًا لم يكن بالزعيم المحبوب ، وليس أدل على ذلك من موقفه مع زوجته ؛ فيقال إنه تزوج صفية بنت حيى بن أخطب وأعرس بها قبل قدوم الرسول ﷺ بأيام وقد حكت هى أنها رأت فى النوم كأن قمرًا أقبل من يثرب يسير حتى وقع فى حجرها فلما ذكرت ذلك لكنانة لطم عينها حتى أخضرت وقال لها : ما هذا إنك تمنين مَلك الحجاز محمدا(٨٩) .

والمعروف أن الرسول ﷺ استصفى صفية لنفسه وتزوجها فأصبحت من أمهات المؤمنين .

* * *

أما ما نستخلصه من نتائج عن الترتيبات المالية التى تمت نتيجة لغزوة خيبر فيمكن أن نصوغه على النحو التالى :

- كانت أراضى خيبر أول أرض يحصل عليها المسلمون خارج حدود المدينة لقد هيأت أراضى خيبر الزراعية الخصبة ومزارع نخيلها مصدرًا غذائيًا هامًا

للمسلمين فى هذه المرحلة من حياة الأمة الإسلامية بما تنتجه من ثمر ومحاصيل زراعية .

- نظرًا لانشغال المسلمين بالجهاد ولعدم توفر العمال عند المسلمين فى ذلك الوقت ، فإن الرسولﷺ وافق على أن يترك هذه الأراضى لليهود يزرعونها بالمناصفة ، أى أن يكون نصف إنتاجها للمسلمين ونصفه لليهود .
- من الواضح أن تقسيم الرسولﷺ لخيبر كان يعنى تقسيم الإنتاج الزراعى وليس الأرض لأن التقسيم الذى أورده المؤرخون يتحدث عن أنصبة بالمكيال وليس عن مساحة أرض .
- استمر العمل بالترتيب الذى وضعه الرسولﷺ حتى نهاية خلافة أبى بكر الصديق وصدر خلافة عمر بن الخطاب . وعندما عزم الخليفة عمر على إخراج اليهود قام بإعادة التقسيم . ويبدو أن عمر هذه المرة قسم الأرض لأنه اصطحب معه إلى خيبر قسَّام المدينة وحاسبيها وهم أشخاص مختصون فى هذه المسائل .
- هناك ما يشير إلى أن الخليفة عمر قسم الأرض بين مستحقيها وورثتهم ، لأنه خير نساء الرسولﷺ بين الطعمة مضمونة وبين الأرض ، فاختار البعض منهن الطعمة ، والبعض الآخر اختار الأرض .
- عندما فتح المسلمون العراق والشام ومصر أراد الذين اشتركوا فى فتحها من الخليفة عمر بن الخطاب أن يقوم بتقسيم هذه الأراضى الزراعية عليهم كما قسم الرسولﷺ خيبر ، حسب زعمهم . غير أن الخليفة عمر لم يكن موافقًا على هذا الطلب ، وكان يرى أن تترك هذه الأراضى فى أيدى الفلاحين فى البلاد التى فتحها المسلمون يزرعونها ويؤدون عنها الخراج . وقد وافقه على

رأيه ذلك عدد من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار مما قوى من موقفه وقرر عدم تقسيمها .(٩٩)

وهكذا فإن الترتيب الذى وضعه الرسولﷺ فى خيبر أصبح نموذجا يحتذى فى كيفية التعامل مع أراضى البلاد التى فتحها المسلمون فيما بعد ، لأن الرسولﷺ فى واقع الأمر لم يقسم أرض خيبر وإنما قسم إنتاجها . وكان استعماله لليهود فيها بالمنصافة إجراءً مؤقتا زال بزوال أسبابه ، فجاء الخليفة عمر فأخرج اليهود منها ، وكان عمر فى الحقيقة هو الذى قسم أراضى خيبر وحدد حدودها . ولعله أدرك أن هذا الإجراء لا يمكن أن يتبع فى الأراضى الشاسعة التى امتلكها المسلمون فى البلاد المفتوحة ، لأنه لو قسمها عليهم لما وجد من جاء بعدهم شيئًا، فوفق الله عمر لهذا الرأى السديد .

ونختم حديثنا بتعليق للأستاذ الريس حول هذا الموضوع حيث يقول : "كان هذا قرارًا بالغ الخطورة ، فيه أصبحت الأراضى التى فتحها المسلمون ، وكذلك ما يمكن أن يفتحوه بعد ، أصبحت فيئًا موقوفًا ، أى ملكًا عامًا للأمة الإسلامية كوحدة بجميع أجيالها بدل أن تكون ملكا متقاسمًا بين الأفراد يتداولونه ويرثه الأبناء عن الآباء " (١٠٠) .

الهوامـــش

(١) الواقدى ، محمد بن عمر : " **كتاب المغازى** " ، ٣ أجزاء ، تحقيق مارسدن جونز ، أكسفورد (١٩٦٦) ، الجزء ٢ ، ص ص٦٣٢ - ٧٢١ . ابن هشـام ، أبو محمد عبـد الملـك : "**السـيرة النبوية** " ، الطبعة الثانيـة ، ٤ أجـزاء ، بـيروت ، دار الكتـاب العربى (١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م) ، الجزء ٣، ص ص ٢٧٥ - ٣٠٦ . ابن سعد ، أبو عبد الله محمد : " **كتاب الطبقات الكبرى** " ٨ أجزاء ، بيروت ، دار صادر (١٩٦٠) الجزء ٢ ص ص ١٠٦ - ١١٧ . ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل : " **السيرة النبوية** " ٤ أجزاء ، تحقيـق مصطفـى عبـد الواحـد ، القاهـــرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبـى وشـــركاه (١٣٨٤ هـ/١٩٦٤) الجـزء ٣ ص ص ٣٤٤ - ٤١٦ .

الحقيقة أن ما كتبه الواقدى عن غزوة خيـبر لا يدانيـه فيـه أحـد ممـن كتـب فـى السـير والمغازى وإن الإنسان ليقف بكل فخر وإعجاب أمام مـا أورده هـذا المؤرخ الكبير مـن مـادة غزيرة وتفاصيل دقيقة عن هذه الغزوة وغيرها من الغزوات .

(٢) خيبر : وهى ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريـد الشـام . يطلـق هـذا الاسـم على الولاية، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير . أما لفـظ خيـبر فهـو بلسان اليهود الحصن ، ولكون هذه البقعة تشتمل على هـذه الحصـون سميـت خيـابر ، وخيـابر جمع خيبر ، كأنها جمعت بما حولها . (انظر : ياقوت الحموى ، شهاب الدين أبو عبـد الله : " **معجم البلدان** "، ٥ أجزاء ، بيروت ، دار صادر (١٣٩٧هـ/١٩٧٧) ، الجزء ٢ ، ص٤٠٩.

(٣) فدك : قريـة بالحجاز بينهـا وبين المدينة يومان وقيـل ثلاثـة (يـاقوت : معجـم ، الجزء ٤، ص ٢٣٨) .

تيماء : بليد فى أطـراف الشـام ، بـين الشـام ووادى القـرى علـى طريـق حـاج الشـام ودمشق (ياقوت : معجم ، الجزء ٢ ، ص٦٧) .

وادى القرى : وهو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة (ياقوت :معجم ، الجـزء ٥ ص٣٤٥).

(٤) ابن هشام : السيرة ، الجزء ٢ ، ص ص ١٤٣ - ١٤٦ . أورد نص الصحيفة أيضًا، مع الشرح والتعليق : أبو عبيد ، القاسم بن سلام : " **كتاب الأموال** " ، الطبعة الأولى ، تحقيق محمد خليل هراس ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، (١٣٨٨ - ١٩٦٨) ، ص ص ٩٠ - ٢٢٩٧ ، وكذلك أوردها ابن كثير : السيرة النبوية ، الجزء ٢ ، ص ص ٣٢٠ - ٢٣ .

(٥) ابن هشام : السيرة ، الجزء ٢ ، ص ص ١٤٤ - ١٤٥ .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل : " **البداية والنهاية** " ، الطبعة الأولى ، ٢٤ جزءًا ، بيروت ، مكتبة المعارف ، الرياض ، مكتبة النصر ، (١٩٦٦) الجزء ٤ ، ص٧٦. ابن كثير : السيرة النبوية : الجزء ٣ ، ص ١٤٧ .

(٦) انظر ابن كثير : السيرة النبوية ، الجزء ٣ ، ص ٣٧١ .

(٧) ابن هشام : السيرة ، الجزء ٣ ، ص ص ١٦٦ - ١٦٧ . ابن سعد : الطبقات ، الجزء ٢ ص ص ٦٥ - ٦٦ . ابن كثير : البداية والنهاية ، الجزء ٤ ، ص ٩٤ . كذلك ابن كثير: السيرة النبوية ، الجزء ٣ ، ص ١٨١ -٨٢ .

(٨) ابن هشام السيرة ، الجزء ٣ ، ص ص ١٦٧ - ١٧١ - ٧٢ .

(٩) ابن هشام السيرة ، الجزء ٣ ، ص ص ١٧٢ - ٧٣ .

(١٠) ابن هشام السيرة ، الجزء ٣ ، ص ص ١٨٦ ، ١٩٠ - ٩١ .

(١١) ابن هشام السيرة ، الجزء ٣ ، ص ٢٠٣ .

(١٢) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٣٤ . ابن هشام السيرة، الجزء ٣ ، ص٢٧٩.

(١٣) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٣٧ .

(١٤) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٣٧ . ابن هشام السيرة،الجزء ٣ . ص٣٧٨.

(١٥) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٣٤ . الودك : الدسم معروف ، وقيل دسم اللحم ... ودهنه الذى يستخرج منه (ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : " **لسان العرب** "، ١٥ جزءًا/بيروت ، دار صادر (١٣٨٨ / ١٩٦٨) ، الجزء ١٠ ، ص ٥٠٩.

(١٦) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٣٤ .

(١٧) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٣٤ .

(١٨) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٣٤ ، ٦٣٧ .

(١٩) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٤١ .

(٢٠) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٣٧ .

(٢١) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٤١ .

(٢٢) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٤٠ .

(٢٣) انظر الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٣٧ - ٣٨ .

(٢٤) الواقدى: المغازى، الجزء ، ص ص٦٤٢-٤٣ ابن هشام: السيرة ، الجزء٣، ص٢٧٧

(٢٥) ابن هشام : السيرة ، الجزء ٣ ، ص ص١٧٤ - ٧٥

غطفان بن سعد : بطن من حرام بن حذام ، من كهلان من القحطانية ، وهم بنو غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن حذام " انظر كحالة ، عمر رضا : " **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** " ، ٣ أجزاء ، بيروت ، دار للملايين ، (١٣٨٨ -١٩٦٨) ، الجزء٣، ص٨٨٩ .

(٢٦) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٤٠ ، ٦٤٢.

(٢٧) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٣٩ - ٦٥٠.

(٢٨) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٥٠ - ٥١ .

النطاة : قيل : هو اسم لأرض خيبر ، وقال الزمخشرى : نطاة حصن بخيبر ، وقيل عين بها تسقى بعض نخيل قراها وهى وبئة (انظر ياقوت : معجم ، الجزء ٥، ص ٢٩١) .

(٢٩) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٥٠ .

(٣٠) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٤٦ ، ٦٥١ . وكان الذى حمل خبر خروج غطفان ورجوعهم إلى بلادهم للرسولﷺ أحد اليهود .

(٣١) حيفاء : موضع بالمدينة ، منه أجرى النبىﷺ الخيل فى المسابقة (ياقوت : معجم ، الجزء ٢ ، ص ٣٣٢) .

(٣٢) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٦٥ .

(٣٣) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٧٥ - ٧٦ وذو الرقيبة جبل بخيبر .

(٣٤) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٧٠١ ٢ . انظر الهامش رقم (٢) لشرح خيابر .

(٣٥) الثنية البيضاء : عقبة قرب مكة تهبطك إلى فخ وأنت مقبل من المدينة تريد مكة، أسفل مكة من قبل ذى طول (ياقوت : معجم الجزء ٢ ، ص ٨٥).

(٣٦) يريدون بذلك ، لعنهم ا لله ، الرسولﷺ .

(٣٧) اللبطة : أن يضرب البعير بيديه ، ولبطه البعير يلبطه لبطا : خبطه واللبط باليد كالخبط بالرجل (ابن منطور : لسان ، الجزء ٧ ، ص ٣٨٨) .

(٣٨) المنة : بالضم ، القوة منظور : لسان ، الجزء ١٣ ، ص ٤١٥) .

(٣٩) انتثل : أى استخرج (ما فيها من أموال) (ابن منظور : لسان ، الجزء١١ ، ص٦٤٥) .

(٤٠) بطانية ، محمد ضيف ا لله : " فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الجزء الثانى : الحياة الاقتصادية فى صدر الإسلام " عمان ، الأردن الفرقان ، (١٩٨٧/١٤٠٧) ص٥٩. العمرى ، اكرم ضياء: بالمدينة المنورة المجلس العلمى (١٤٠٣ / ١٩٨٣) ، ص١٧١

(٤١) الشق : من حصون خيبر (ياقوت ، الجزء ٣ ، ص ٣٥٥) .

الكتيبة : وهو حصن من حصون خيبر (ياقوت: معجم، الجزء ٤ ،ص٤٣٧)

وادى السرير : ووادى خاص : (وفق رواية ابن إسحاق) وكان واديًا خيبر، وادى السرير ووادى خاص ، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر ، ووادى الكتيبة الذى خرج فى خمس ا لله ورسوله وذوى القربى وغيرهم (ياقوت : معجم ، الجزء ٢ ، ص ٣٣٨).

(٤٢) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٥١ .

(٤٣) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٥٦ - ٥٩ ، ٦٦٢ - ٦٤ .

(٤٤) العكم : عكم الثياب الذى تشد به العكمة . يقال : عكمت الثياب إذا شدت بعضها إلى بعض (ابن منظور : لسان ، الجزء ١٢ ، ص٤١٥) .

والبز : الثياب ، وقيل ضرب من الثياب ، وقيل البز من الثياب أمتعة البزاز ، وقيل البز متاع البيت من الثياب خاصة (ابن منظور : لسان ، الجزء ٥ ، ص ٣١٢) .

(٤٥) الدبابة : آلة من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وتقيهم ما يرمون به من فوقهم ، وسميت بذلك لأنها تدفع فتدب (ابن منظور : لسان، الجزء ١ ، ص ٣٧١) . أما المنجنيق فهو ما يعرف بالنار الإغريقية ، وهى عبارة عن حجارة مشتعلة تقذف من على بعد .

(٤٦) الواقدى : المغازى، الجزء ٢ ، ص٦٦٥ .

(٤٧) الواقدى : المغازى، الجزء ٢ ، ص٦٦٦ - ٦٧ .

(٤٨) الواقدى : المغازى، الجزء ٢ ، ص٦٦٩ .

(٤٩) الواقدى : المغازى، الجزء ٢ ، ص٦٦٩ .

(٥٠) فى الحديث أن الرسولﷺ صالح أهل خيبر على الصفراء والبيضاء والحلقة ، فالصفراء : الذهب ، والبيضاء : الفضة ، والحلقة : الدرع ، أما الكراع فقد تعنى البقر والغنم، وقد تعنى الخيل والسلاح ، وقد تعنى السلاح ، (انظر : ابن منظور : الجزء ٤ ، ص ٤٦٠ ن والجزء ٨ ، ص ٣٠٧) .

(٥١) الواقدى : المغازى، الجزء ٢ ، ص ٦٧٦ . ابن هشام السيرة ، الجزء ٣ ، ص٢٨٦.

(٥٢) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٧٣ .

الدملج والدملوج : المعضد من الحلى (ابن منظور : لسان ، الجزء ٢ ن ص ٢٧٦) الفتخة والفتخة : خاتم يكون فى اليد والرجل بفص وغير رفص ، وقيل هى الخاتم أيا كان ، وقيل هى حلقة تلبس فى الأصبع كالخاتم ، وكانت نساء الجاهلية يتخذنها فى عشرهن ، والجمع فتخ وفتوخ وفتخات ، وقيل الفتخةحلقة من فضة لا فص فيها ، فإذا كان فيها فص فهى الخاتم (ابن منظور : لسان ، الجزء ٣ ، ص ٤٠) .

(٥٣) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٨٠ .

(٥٤) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٨٤ .

(٥٥) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٨٩ . هناك رواية أوردها الواقدى تقول أن عدد الفرسان كان ثلثمائة فارس .

(٥٦) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٨٨-٤٣ . ابن هشـام : السيرة ، الجزء٣، ص٢٩٨ . حول هذا الموضوع كتب أبـو سيف (يعقـوب بـن إبراهيـم : " **كتـاب الخـراج** " الطبعة الخامسة ، القاهـرة ، المطبعة السلفية ومكتبتهـا (١٣٩٦) ، ص ٢٠) قـال : " وكـان الفقيه المقدم أبو حنيفة يقول : للرجل سهم وللفرس سهم ، وقال : لا أفضل بهيمة علـى رجـل مسلم : " وما جاء من الأحاديث والآثار أن للفرس سهمين وللرجل سهم أكثر من ذلك وأوثق والعامة عليه ، ليس هذا على وجه التفضيل ... إنما هذا على أن يكـون عـدة الرجـل أكـثر مـن عدة الآخر وليرغب الناس فى ارتباط الخيل فى سبيل الله . ألا تـرى أن سـهم الفـرس إنمـا يـرد على صاحب الفرس فلا يكون للفرس دونه " ثم يضيف أبو سـيف قـائلاً : " فىالرجـل يكـون فى الغزو ومعه الأفراس ، قال : " لا يقسم لـه مـن الغنيمـة لأكـثر مـن فرسـين " انظـر أيضًـا : القرشى ، يحى بن آدم : " **كتاب الخراج** " صححه وشرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، المطبعة السلفية ومكتبتها (١٣٨٤ هـ) ص ص ١٨ - ١٩) وأيضًا : البخارى، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم : " **صحيـح البخـارى** " ثمانيـة أجـزاء ، استانبول ، تركيا ، الكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، (دون تاريخ) ، الجزء ٥ ، ص٧٩ .

(٥٧) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٨٤ .

(٥٨) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٨٤-٤٣ . ابن هشـام : السـيرة ، الجـزء ٣، ص ٢٨٦ . الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير : " **تاريخ الرسل والملوك** " تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ، دار المعارف (دون تاريخ) ، الجزء ٣ ، ص١٩.

(٥٩) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٨٥ - ٨٧ . وفـى رايـة أخـرى للواقديـن (ص٨٧) ص١٧ .

(٦٠) الأوضاح : حلى من الدراهم الصحاح (ابن منظور: لسان ، الجزء ٢، ص ٦٣٥).

(٦١) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٨٦ - ٨٧ ، ٦٨٨ .

(٦٣) هناك بعض الخلط وعدم الوضوح فيما أورده الواقـدى عن هذه الأسـهم ، فنجده فى مكان من كتابه (الجزء ٢ ، ص ٦٨٩ - ٩٠) يذكر أن الرسول ﷺ جعل النطاة والشـق ثمانية عشر سهمًا فوضى (أى بدون تحديـد) وكـان كـل سـهم يضـم مائـة رجـل ولـه رأس . ولكننا نجده فى نفس المكان يقول : " فكانت سهمان المسـلمين التـى أسـلمها رسـول ﷺ فـى

النطاة أو فى الشق ثلاثة أسهم فوضى لم تعرف على عهد رسول الله ﷺ ولم تحج ولم تقسم " وليس واضحًا تمامًا العلاقة بين الثمانية عشر سهمًا التى ذكرها آنفًا وبين الثلاثة أسهم فى كل من النطاة والشق . أضف إلى ذلك إنه عندما عدد الأسهم وبعض رؤسائها (الجزء ٢، ص ٦٨٩ - ٩٠) ذكر أربعة رؤساء سهمان . بينما نجده فى مكان آخر (ص ص ٨١٧ - ١٩) يعدد مرة أخرى الأسهم ورؤساءها ، فنجد أن عددها هنا ثمانية عشر سهمًا لسلمة وسهم لعبيد السهام ، الذى لم يذكره فى المرة الأولى. ولعل تفسير ذلك أن عبيد هذا قد قام بشراء أسهم من كانوا يشتركون معه فى السهم الكبير بحيث أصبح كله باسمه ، وقد سمى عبيد السهام لكثرة ما اشترى منها (الواقدى ، الجزء ٢ ، ص ٧١٩) . أضف إلى هذا أن هناك بعض الخلط فى اسم الرجل اليهودى الذى كان له سهم فنجده مرة باسم عبيدة (ص ٦٩٠) ومرة أخرى باسم عبيد (ص٧١٩).

(٦٤) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٧١٨ - ١٩ . ابن هشام : السيرة ، الجزء ٣، ص ص٢٩٧ - ٩٩ .

(٦٥) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٩٠.

(٦٦) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٩١ - ٩٢ .

(٦٧) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٩٢ - ٩٣ .

(٦٨) قال أبو سيف (الخراج ، ص ٥٤) أن الرسول ﷺ دفع خيبر إلى اليهود مساقاة بالنصف ، وكان يبعث إليهم عبد الله بن رواحة فيخرص عليهم ثم يخيرهم أى النصفين شاءوا أو يقول لهم : اخرصوا أنتم وخيرونى . انظر كذلك : يحى بن آدم : الخراج ، ص٢١ وأبو عبيد : الأموال ، ص ص ٧٩ - ٨٠ ، والبخارى : صحيح ، الجزء ٥ ، ص ٨٤ .

(٦٩) أصل الخرص : التظنى فيما لا تستيقنه ، ومنه خرص النخل والكرم إذا حرزت التمر لأن الحرز إنما هو تقدير بظن لا إحاطة ، والاسم الخرص بالكسر ، والخرص حرز ما على النخل من الرطب تمرًا (ابن منظور : لسان الجزء ٧ ، ص ٢١) . أما الوسق والوسق : مكيلة معلومة : وقيل هو حمل بعير وهو ستون صاعًا بصاع النبى ﷺ وهو خمسة أرطال وثلث (ابن

نظور : لسان ، الجزء ١٠ ، ص ٣٧٨) . انظر كذلك زلوم ، عبد القديم: " **الأموال فى دولة الخلافة** " الطبعة الأولى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، (١٩٨٣-١٤٠٣ هـ) ، ص ٦٣.

(٧٠) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢، ص ص٦٩١ - ٩٢ . ابن هشام : السيرة ، الجزء٣، ص٣٠٢ ذكر ابن هشام أن جبار بن صخر هو الذى خرص عليهم بعد مقتل ابن رواحة.

(٧١) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٩٣ - ٩٥ . ابن هشام : السيرة ، الجزء ٣ ، ص ص ٢٩٩ - ٣٠٠ . ابن كثير : البداية ، الجزء ٤ ، ص ٢٠٠ .

(٧٢) انظر الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٩٥ . فى الغالب المقصود هنا " بجاد مائة وسق " أنه اعطاهم أو جاد عليهم بكذا .

أما الأشعر فهم من قبائل كهلان من القحطانية ... قدموا على النبىﷺ فقال لهم : "نعم الحى ، والأشعريون لا يفرون فى قتال ولا يغلون ، هم منى وأنا منهم . وكانوا أول منتقض بعد انتقال النبىﷺ سنة ١١هـ بتهامة فقاتلهم أبو بكر فانهزموا (كحالة : معجم ، الجزء ١ ، ص ص ٣٠ - ٣١) . أما الداريون فهم : الدار بن هانئ ، بطن من لخم من القحطانية وهو بنو الداربن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم (كحالة : معجم ، الجزء ١ ، ص ٣٧٠) ، أما الرهاويون فهم رهاء بن منبه ، بطن من مذحج بن كهلان من القحطانية . (كحالة : معجم ، الجزء ٢ ، ص ٤٤٨) .

(٧٣) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٩٧.

(٧٤) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٩٧ - ٩٨.

(٧٥) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٩٨.

(٧٦) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٦٩٩.

(٧٧) لعل من الأسباب لذلك الديوان الذى وضعه الخليفة عمر بن الخطاب وأصبحت الأموال بمقتضاه توزع على جميع المسلمين فعم الخير الكل .

حول وضع الخليفة عمر لديوان العطاء وتوزيع الأموال انظر : ابن سعد : الطبقات ، الجزء ٣ ، ص ص ٢٩٦ - ٣٤٠ .

(٧٨) القرآن الكريم ، سورة الأنفال ، الآيـة ٤١ ، وقـد ذكـر ابـن هشـام (السـيرة ، الجزء ٢ ، ص ٢٤٧) أن العمل بالخمس بدأ عقب سرية نخلة التى كانت فى السـنة الثانيـة للهجـرة قبيل معركة بدر الكبرى . ولكن من الواضح أن آية الخمس المشار إليها نزلت بعد غزوة بدر.

(٧٩) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٩٨ - ٩٩.

(٨٠) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٦٠٧ - ٧ . ابـن هشـام : (الجـزء ٣ ، ص ٢٨٦ وص٣٠١) فى خبر فدك أنه لما فرغ الرسولﷺ من خيـبر قـذف الله الرعـب فـى قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبثو إلى رسول الله ﷺ يصالحونـه على النصف من فدك فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطائف ، أو بعـد مـا قـدم المدينـة ، فقبـل ذلك منهـم . انظـر كذلك الطـبرى : تاريخ ، الجزء ٣ ، ص ٢٠ . أما أبو عبيد (الأموال ، ص ١٦) فقد ذكر أن أهل فدك قد أرسلوا إلى رسولﷺ فبايعوه على أن لهم رقابهم ونصـف أراضيهم ونخلهم ولرسول اللهﷺ شطر أرضهم ونخلهم .

(٨١) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٧١٠ - ١١ . ابـن هشـام : (السـيرة ، الجزء ٣ ، ص٢٨٨) أن الرسولﷺ لما فرغ من خيبر انصرف إلى وادى القـرى فحـاصر أهلـه ليالى ثم انصرف راجعًا إلى المدينة .

(٨٢) هو محيصة بن مسعود بعثه الرسولﷺ فى أمر الصلح ليهود فدك .

(٨٣) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص٧١٣ .

(٨٤) الواقدى : المغازى ، الجـزء ٢ ، ص ٧١٢ . تقـول ثـلاث روايـات أوردهـا ابـن هشام (السيرة ، الجزء ٣ ، ص ٣٠٣) أن الرسولﷺ هو الذى دفع دية هذا القتيل من عنده.

(٨٥) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٧١٦ . من جهة أخرى ابن هشـام (السـيرة الجزء ٣ ، ص ٣٠٥) ذكر ما يدعو للاعتقاد أن الخليفة عمر بن الخطاب اتخـذ قـراره بـإخراج اليهود بعد حادثة ابنه عبد الله فذكر أن عمر قال ذلك للصحابة ، وأنه لا يشك أن اليهود هـم الذين فعلوا ذلك ، وأنه مخرجهـم ، فمـن كـان لـه مـال بخيـبر فيلحـق بـه . انظـر: الهمشـرى ، مصطفى : " النظام الاقتصادى فى الإسلام. مـن عهـد بعثـة الرسـولﷺ إلى نهايـة عصـر بنـى أمية"، الطبعة الأولى ، الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر (١٤٠٥/ ١٩٨٥) ، ص١٤٥ .

(٨٦) العلج : الرجل من كفار العجم ، والعلج الكافر ، ويقال للرجل القوى الضخم من الكفار علج (ابن منظور : لسان ، الجزء ٢ ص ٣٢٦) .

(٨٧) ثبار : بالكسر وآخره راء موضع على ستة أميال من خيبر ، وقد روى بالفتح (ياقوت : معجم ، الجزء ٢ ، ص٧٢) .

(٨٨) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٧١٦ .

(٨٩) ابن أنس ، مالك : " الموطأ " الطبعة الأولى ، قدم لها وراجعها ونسقها فاروق سعد ، بيروت ، دار الأفاق الجديدة (١٩٧٩) ص ص ٧٨٠ - ٨١ . الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٧١٧ . ابن هشام : السيرة ، الجزء ٣ ، ص٣٠٤ .

أبو داود ، سلميان بن الأشعث السجستانى الأزدى : " سنن أبى داود " ، الطبعة الأولى ، خمسة أجزاء ، حمص ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع (١٣٨٨/١٩٦٩) الجزء ٣ ، ص ١٥٤ الطبرى : تاريخ ، الجزء ٣ ، ص٢١ .

(٩٠) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٧١١ .

(٩١) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ص ٧١٨ - ٢١ هناك اختلاف فى الأسماء فابن هشام (السيرة ، الجزء ٣ ص ٣٠٥) ذكر حبار بن صخر بدلاً عن حباب بن صخر الذى ذكره الواقدى . أما الآخر فقال عنه ابن هشام أنه يزيد بن ثابت بينما ذكره الوقداى باسم زيد بن ثابت . الواقدى ذكر أيضًا أربعة أشخاص بينما ذكر ابن هشام اثنين فقط . أما الرواية الثانية فنجدها تتفق مع رواية ابن هشام فى ذكر اثنين فقط .

(٩٢) يحى بن آدم الخراج ، ص ٣٧ . الواقدى ، المغازى ، الجزء٢ ، ص ٧١٩-٢٠)

(٩٣) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٧٢٠ . يوحى هذا بأن مروان بن الحكم استغل نفوذه عندما كان واليًا على المدينة فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وهناك ما يشهد على ذلك، وهو أن معاوية عندما تولى الخلافة أقطع فدك لمروان فوهبها مروان لابنيه عبد العزيز وعبد الملك (ويبدو أنه فعل هذا نكاية فى آل على بن أبى طالب الذين كانوا يتمتعون بجزء من إنتاج فدك منذ عهد الرسولﷺ ثم جاء عمر بن عبد العزيز فردها إلى آل على بن أبى طالب (ياقوت : معجم ، الجزء ٤ ص٢٤٠) .

(٩٤) الواقدى : المغازى ، الجزء ٢ ، ص ٧٢٠ .

(٩٥) الواقدى: المغازى، الجزء ٢ ، ص ٧١١ . ابن هشام : السيرة ، الجزء ٣ ص٢٨٨

(٩٦) الواقدى : المغـازى ، الجـزء٢ ، ص٧٢١ . ابـن هشـام : السـيرة ، الجـزء ٣ ص ص٣٠٥-٦

(٩٧) القرآن الكريم : سورة الحشر ، الآية : ١٤ .

(٩٨) الواقـدى: المغـازى ، الجـزء٢ ، ص٧٢١ . ابـن هشـام : السـيرة ، الجـزء٣ ص ص٢٨٥-٨٦

(٩٩) يقول يحى بن آدم (الخراج ، ص ٢٠) قـال بعـض الفقهـاء : الأرض لا تخمـس لأنها فئ وليست بغنيمة لأن الغنيمة لا تتوقف والأرض إن شاء الإمام وقفهـا وإن شـاء قسـمها كما يقسم الفـئ ، فليس فى الفئ خمس ولكنـه لجميع المسلمين ، كما قال الله عز وجل : ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربـى واليتـامى والمسـاكين وابـن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فـانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ (القرآن الكريم : سورة الحشر ، الآية : ٧) انظر كذلـك أبو يوسف : الخراج ، ص ص ٢٨ - ٢٩ . أبو عبيد : الأموال ، ص ص ٨١ ، ٨٥ . زلـوم : الأموال فى دولة الخلافة ، ص٤٨ .

(١٠٠) الريس ، محمـد ضيـاء الديـن : **" الخـراج والنظـم الماليـة للدولـة الإسـلامية "** الطبعة الثالثة، مصر ، دار المعارف ، (١٩٦٩) ص ١١٧ .